



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الموضوع :

العبث والتمرد في فلسفة " البير كامو "

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

جميلة سايجي

أعضاء اللجنة المناقشة :

- الأستاذ لصق الربيع رئيساً
- الاستاذ خشعي عبد النور..... مشرفاً ومقرراً
- الأستاذ معيلبي عيسى..... مناقشاً

السنة الجامعية: 2018/2017



الإهداء

إلى من اشترت راحتى وسعادتى بتعبها وشقائها
إلى أعلى إسم نطقه لسانى، الى التي سهرت الليالى واحترقت مثل الشمعة لتضيء
ما حولى، أمى **قمر شفاها الله وأطال في عمرها**.
إلى من ضاع عمره تعباً وكداً ، الى من أفنى عمره لأجلي أن أتعلم، الى الذي رأيته
بين الناس رجلاً، وبين الرجال بطلاً، وبين الأبطال مثلاً، **إلى الحاج البشير أطال
الله في عمره**.

لكما يا أعلى ما أملك في الحياة والديا الكريمين
إلى أخوتى: **أحمد، عيسى، عمر، رشدي، محمد الأمين**.
إلى اخواتى: **مسعودة، فطيمة، فتيحة، أم الخير، فيروز، سهيلة، وئام** .
إلى الكتاكيت الصغار: **لينا، براءة، أحمد، عبد النور، أسيل، هيثم، منى، ريتاج،
خليل، البشير، عبد الوهاب، يعقوب**،
وإلى كل من : **حواس، عبد القادر، عبد الرحمن، والى جدتي: حدة**
إلى زميلتي وصديقتي **حليمة السعدية لبزة**.
إلى زميلاتي الاتى جمعني بهم القدر: **صبرينة، رحمة، سهير، ايمان، روميسة،
نوال، زينب، سميحة، سلمى، سمية**.

كما لا أنسى اهدائي الخالص لـ: **أحمد أمين**

إلى كل من كان سببا في نجاحي

وإلى الأهل والأحبة.

جميلة

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي وفقني إلى انجاز هذا العمل المتواضع راجيا منه الإفادة والاستفادة، فيا ربي لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضا.

كما لا يسعني في هذا المقام العلمي إلا أن أتقدم بخالص شكري الى والديا الكريمين، والى الاستاذ المشرف خشعي عبد النور، والى ادارة قسم الفلسفة ومكتبة بيروت خاصة على دعمهم واسهامهم في انجاز بحثي .

جميلة



مقدمة

مقدمة :

يعتبر ألبير كامو **Albert camus** فيلسوفاً ثائراً وقد كانت كل رواياته ومسرحياته تدل على فلسفته، وقد ارتبط اسمه بالفلسفة الوجودية وبالعبث والتمرد، وكانت فلسفته تتحدث عن العبث والتمرد، فقد وجد أن هذا العالم لامعقول وأن هذه الحياة عبثية لذا لا بد للإنسان بإثبات وجوده حيث نادى كامو برفض العبث والتمرد عليه إلا أنه دعا إلى رفض الإعدام والانتحار، وقد وجد أن العصر الذي يعيشه قد انفصلت فيه السياسة عن الأخلاق والقيم عن المجتمع والفكر عن الحياة وبالتالي موت القيم التي كانت بمثابة الوسيط بين الله والإنسان، وكانت قضية كامو الكبرى التي واجهته هي في خلق قيم جديدة في عالم متناقض لا إعادة بعث الحياة في القيم القديمة، فأراد كامو تجاوز صراعات العصر برفضه لكل ما يؤدي إلى عذاب الإنسان وإيقاظ في النفوس معنى العدالة والأمانة والشرف وروح التضامن.

كانت حياته كامو ومؤلفاته وجهان لعملة واحدة أو وجهان لحقيقة واحدة وتجسد ذلك في كون حياته هي حياة أبطاله حتى أنه لا وجود لفرق كبير بين حياته وحياة مורسو في رواية الغريب.

وقد تجلت دراستنا في البحث عن العبث والتمرد في فلسفة كامو وإلقاء الضوء على أهم أفكاره التي عالجهما في رواياته وكانت الطريق للوصول إلى هدفنا، وكامو من خلال كلمة اللامعقول جعل من الإنسان متمرداً على هذه الحياة وقد كانت أسباب اختيارنا للموضوع كالتالي:

أولاً أسباب ذاتية وهي الرغبة في التعرف على هذه الفلسفة التي نادراً ما توجد لها دراسات معمقة والتعرف أيضاً على الفكرة التي أرادت صنع تحويل في العالم والفضول المعرفي للتطلع والتعرف على ألبير كامو ابن الجزائر حتى لو كان ذلك نشأة فقط.

ثانياً أسباب معرفية اكتشاف فكر كامو والاطلاع على أهم العوامل التي قامت بازدهار فكره العبثي.

وقد وجدت أن هذا الموضوع مهم جداً وذلك لاحتوائه على أفكار فلسفية.

وقد وجدنا أن الإشكالية الأساسية في موضوع بحثنا هي كيف نظر ألبير كامو إلى العبث والتمرد من خلال فلسفته؟ وتتفرع هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات من بينها:
ما العبث؟ ما المحال؟ ما اللامعقول؟ ما التمرد؟ وما مفهوم العبث عبر العصور؟

كيف تحول العبث من مفاهيم عبر العصور إلى فلسفة قائمة بحد ذاتها؟ كيف نظر ألبير كامو إلى الحياة من خلال فلسفته في العبث والتمرد؟ وما هي قيم وجمالية وأنواع التمرد لدى كامو؟ وكيف دافع ألبير كامو على الإنسان وحرية؟ وهل يعني هذا أن الخروج من العبث إلى التمرد يضمن له ذلك؟

وعلى هذا الأساس كان منهجنا المتبع هو المنهج التحليلي بالإضافة على المنهج التاريخي والوصفي، وقد كان ميررنا لاختيارنا لهذه المناهج أننا سنحاول تحليل الآراء والأفكار المختلفة لكامو فقمنا باتباع المنهج التحليلي، أما المنهج التاريخي فتمثل في عودتنا للتاريخ لفهم موضوع العبث كيف كان، أما المنهج الوصفي فظهر في وصفنا لبعض المواضيع.

ومراعاتنا لطبيعة الموضوع ارتأينا أن تكون الدراسة وفق هذا التصور ثلاثة فصول تتوزع لمباحث واستهلت بمقدمة وتوجت بخاتمة وتمهيد لكل فصل.

أما الفصل الأول خصص لمفهوم العبث والتمرد عبر العصور تتدرج تحته مبحثين، مبحث أول كان ضبط لمفاهيم العبث المحال اللامعقول والتمرد، والمبحث الثاني قيمنا فيه

المسار التاريخي لظهور فكرة العبث من خلال العودة إلى مفهوم العبث عند اليونان، والعصر الوسيط، والعصر الحديث ثم العصر المعاصر.

أما الفصل الثاني كان بعنوان العبث وكامو تطرقنا فيه لمبحثين المبحث الأول حول حقيقة العبث عند كامو، حدد فيه مفهوم العبث عند كامو وطبيعة العبث لديه، والعبث في رواياته، أما المبحث الثاني كان مرحلة ظهور التمرد واحتوى على الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث ثم الفن والعبث ومن العبث إلى التمرد.

أما الفصل الثالث فكان تحت عنوان التمرد وكامو، المبحث الأول كان نظرية التمرد عند كامو، وفيه تناولنا مفهوم التمرد لدى كامو، قيم التمرد، الفن والتمرد، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه مراحل تطور التمرد من خلال توضيحنا للتمرد الميتافيزيقي والتاريخي، التمرد والثورة التمرد والقتل. أما الخاتمة فتضمنت أهم ما توصلنا إليه من استنتاجات.

أما من ناحية الصعوبات فأهمها:

عدم توفر مصادر كامو في المكتبة الجامعية، قلة الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، عدم القدرة على ترجمة نصوصه الأصلية من الفرنسية إلى العربية، إلا أننا عزمنا على تخطي هذه العوائق والفضل لله أولاً، والفضل لمحاولة تقديم دراسة أفضل ثانياً.

أما عن الدراسات السابقة فقد كان بحثنا مطولاً عنها دون وجود دراسة بهذا الشكل وأهم دراسة كانت لعبد القادر فوزان، الشعور بالاعتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو.

لقد حاولنا قدر المستطاع أن نجتهد في إنجاز هذه الدراسة إلا أننا لا نجزم أن دراستنا المتواضعة قد استطاعت تسجيل إسهام حقيقي في أن نقدم إجابات لمختلف الإشكالات التي طرحناها سابقاً، لكننا قد أخذنا على عاتقنا منذ بداية بحثنا إلى إثارة جملة من القضايا

والإشكالات كمحاولة لفتح آفاق للنقاش، كما نأمل أن نكون قد أصبنا ولو لبنة صغيرة تضاف إلى رصيد مكتبتنا ومرجع يعود إليه طلبة العلم في المستقبل إن شاء الله.



مفهوم العبث والتمرد عبر العصور

- تمهيد
- المبحث الأول : ضبط مفاهيم
 - ✓ أولاً : مفهوم العبث
 - ✓ ثانياً : مفهوم المحال
 - ✓ ثالثاً : مفهوم اللامعقول
 - ✓ رابعاً : مفهوم التمرد
- المبحث الثاني : المسار التاريخي لظهور فكرة العبث
 - ✓ أولاً : مفهوم العبث عند اليونان
 - ✓ ثانياً : مفهوم العبث في العصور الوسطى
 - ✓ ثالثاً : مفهوم العبث في العصور الحديثة
 - ✓ رابعاً : مفهوم العبث في العصر المعاصر

تمهيد :

يتميز مفهوم العبث أو المحال أو اللامعقول بأنه نتيجة الظروف السياسية والحروب العالمية الكبرى، دفعت الفلاسفة المحدثين إلى التفكير في الثابت العبثية فقد رأوا النتائج التي حلت من جرّاء الحروب المدمرة والدمار المادي الذي مسّ أوروبا، وجميع النتائج التي نجمت عن تلك الحروب هي سلبية، تمثلت هذه السلبية في فقدان الثقة بين سكان العالم الأوربي وبالتالي انعزالهم عن بعضهم البعض، فظهر مصطلح العبث كاتجاه جديد يسعى إلى التخلص من العالم البرجوازي وكان هذا المصطلح من بداية العصر اليوناني الذي تجسد في عبث الآلهة على البشر، فمنهم من أطلق عليه اسم العبث، ومنهم من أسماه المحال، وأيضا اللامعقول كل هذه المصطلحات كانت تهدف إلى معنى واحد وهو نفس المعنى القائم من بداية سيطرة الآلهة اليونانية على البشر وإصدار حكمها عليهم أو ما سمته باللعنة، فقد فسّرت أحداث قصص الآلهة كالآلهة زيوس ولعنتها على سيزيف على أنها عبث، وانتقل المفهوم عبر العصور، وكان لكل عصر روايته العبثية في العالم اللامعقول مروراً بالعصر الوسيط، فالحديث إلى أن وصل إلى العصر المعاصر، إلا أنّ البحث عنه كان ضعيفاً جداً فقليلاً ما كنّا نجد الروايات العبثية .

وكان ظهوره كفكر عندما ارتبطت العبثية بالوجودية والعدمية، فكانت جذورها على يد الفيلسوف الدنماركي كيركغارد، وذلك في القرن التاسع عشر، وامتدّت الدراسات فيها إلى أن نشأت كمذهب فكري انبثق عن الحركة الوجودية، وكان ذلك مع الكاتب الفرنسي الفيلسوف ألبير كامو الذي اعتبر فيلسوف العبث والتمرد والتحدي، وكامو كان قد طرحه نتيجة للظروف التي آل إليها العالم الغربي بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، من حياة مليئة بالقلق واليأس الذي كان يعانيتها الإنسان الغربي، وأيضا مقولته عن اللامعقول لجعل الإنسان متمرداً على هذه الحياة ويرجعه إلى الدمار والخراب والفوضى .

كامو يرفض الأسس الثقافية والسياسية العبثية للعالم البرجوازي، عالم الحروب والمنافسات الدموية وأوهام المجد الكاذب وسيطرة الأشياء وشحوب الروح والعقل وانسحاق فردية الإنسان من مواجهة المؤسسات القوية التي تقوم بوظائف الحكم والاستثمار وتغذية أرواح الناس وعقولهم بالخرافات أو الثقافات الكاذبة وتجنيدهم من أجل الدفاع عن مكاسب نفس المؤسسات غير الإنسانية فكان للتمرد رأي آخر في النفس البشرية من خلال اختراق حاجز الصمت لأن التمرد يثبت الوجود، وأيضا التمرد يحقق الصفة السامية وهي الطبيعة الإنسانية والعمل لأجلها بما تقضيه الحاجة لذلك وإدراك عبثية الوجود ولا عقلانية العالم هما بداية التمرد.

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى المفاهيم بالتفاصيل ولمعرفة تفاصيل المفهوم وبدايته كان لا بد من التطرق إلى المفاهيم ومعناها قبل المضي في تاريخية المفهوم، والفصل في المفهوم كان من أجل التوضيح لا غير، فمفاهيمه كلها لها دلالات واحدة وهي العبث، وإنما اختلف البعض في مؤلفاتهم فكل كان يدعوه بشكل، أما تاريخيته وتطوره فقد ظهر من اليونان إلى كامو، وهذا ما سيكون في الآتي.

المبحث الأول : ضبط مفاهيم

أولاً : مفهوم العبث

لغة : معنى عبث في معجم المعاني الجامع معجم عربي - عربي .

عَبَثَ كل ما قام به كان عَبَثًا .

وَعَبَثَ أي "لعب فهو عابث: لاعب بما لا يعنيه وليس من باله، والعبث أن تعبث بالشيء"¹.

وفي القرآن الكريم " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا " ² ومعنى العبث هنا لا فائدة منه، ولا معنى، وهنا قوله تعالى اظننتم أنما خلقناكم لعبا ولهوا، والعبث كل ما ليس له معنى ولا يترتب عليه فائدة أو نتيجة والفعل العبثي هو الفعل الذي ليس له هدف معين .

وبمعنى آخر : " العبث هو الباطل الذي لا أساس له ولا نتيجة له ولا نفع فيه " ³

ونجد أن كلمة العبث لها عدة معاني ومصطلحات فهي هدر الوقت، وعدم الاستفادة من الفعل العبثي وعدم النجاح فيما يحاول فعله، وهو اللعب والهزل والاستهزاء أو السلوك الطائش وهنا نجد أن مفهوم العبث لغويا هو مرادف للأمعقول، والعبث هو أيضا "معارض للعقل"⁴

-وقد ذكر في الحديث الشريف مصطلح العبث " من قتل عصفورا عَجَّ إلى الله يوم القيامة يقول يا رب إنَّ فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة "⁵.

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع (مادة العبث)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 2775.

2 - سورة المؤمنون، الآية 115 .

3-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، (مادة العبث)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 52.

4- مراد وهبة، المعجم الفلسفي (مادة العبث)، دار قباء، القاهرة، ط 5، 2007، ص 408.

5- ابن حبان في موارد الضمان، 1017، باب النهي عن الذبح لغير منفعة .

وتعني بذلك " أن يقتل الحيوان لعبا لغير قصد الأكل ولا على جهة التصيد للانتفاع "¹

-اصطلاحا : تختلف تعريفات العبث في المعنى الاصطلاحي أو الدلالة الفلسفية في المعاجم والقواميس، أولا نجدها في معجم صليبا أنه " إذا فعل المرء فعلا لا يترتب عليه فائدة، أو ليس له فيه غرض صحيح قيل أنه يفعل ذلك عبثا " ² والمقصود بهذا هو أن الشخص بفعله فعل ما وهذا الفعل لم يأتي له بنتيجة وليس وراءه هدف فهذا الفعل فعل عبثي باطل ولا قيمة له ووهمي وبذلك نجد أن مصطلح العبث قد ارتبط بكل ما لا فائدة منه، وقد تمحور هذا المصطلح أيضا حول معاني اللعب والاستهزاء والهزل وكل الكلام أو العمل أو أي شيء لا جانب له من الصحة أو الفائدة .

ومفرد عبث تختزل بداخلها معاني اللاجدوى واللامعقول، وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الأخطاء في استخدام مفردة العبث بحيث صار يطلقها العوام على كل فن لا يخضع لضوابط منطقية ولا يلتزم بمسؤولية محددة، وهذا من سبيل الخطأ الشائع ³

والعبث له مفاهيم أخرى وهي اللاجدوى والمحال واللامعقول ونجد أن العبث ليس كما قال العلماء أنه الفن الذي ليس له قوانين تضبطه أو أشياء تحده .

وفي تعريف آخر للعبث " هو ذلك الصراع القائم بين مظهر العالم اللاعقلاني وتلك الرغبة المضطربة حول الصفاء والوضوح " ⁴، وهنا نجد أن في محاولة الخروج من دائرة العبث لا بد من وجود تناقض من طرفين وهما وجود الإنسان والعالم المشترك أو بين العالم اللاعقلاني وصفاء النفس ووضوحها من هنا ينشأ العبث من هذا الصدام أو

1-سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017، ص 56.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (مادة العبث)، ص 52.

3- علاء الدين العالم، تيار العبث بين الفلسفة والمسرح، مجلة دلتانون، العدد الأول، يوليو، 2014، ص3.

4-نضال نجار، كامو فلسفة العبث وإنسانية التمرد، ديوان الثقافة والفن، الخميس 14 آب (أغسطس) 2003، 12:30، الموقع : www.diwanalarab.com .

الصراع بينهما، والرابطة الوحيدة بينهما هي اللامنطقي والحنين الإنساني. والعبث عندما يدرك العبثية يصبح بداية حياة جديدة أو لواقع آخر غير الواقع الذي خرج منه.

أما المعجم الفلسفي فهناك تعريف آخر له وهي : " العبثية مدرسة أدبية فكرية تدعى أن الإنسان ضائع لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة ولم يعد لأفكاره مضمون وإنما هو يجتر أفكاره لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي نتيجة للرجبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان، حيث انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة"¹.

في هذا المعجم تبين لنا أن العبث أصبح له مدرسة أو ما سمي العبثية مدرسة أدبية فكرية وترى أن الإنسان بعد أن كان سيد على الآلة أصبح العكس صار الإنسان في خدمتها وهي بدورها تعمل عمله وأكثر ولم يعد لسلوكه أو أفكاره أي أهمية مقابلها وهذا ما نسميه بالعبث فقد صار تحت سيطرة الآلة ومكبلا يتبع الآلة في كل شيء وأضحت الآلة هي التي تعمل عمل الإنسان وهذا يعتبر نوعا من العبث، وعندما يجد الإنسان نفسه غير قادر على عمل شيء لأن الآلة حلت محله يضطر إلى فعل أشياء والقيام بأعمال لا فائدة منها وهذه الأخيرة هي ما تحدثنا عنها الأفعال أو الأعمال العبثية لتعود بنا مرة أخرى في المعجم الفلسفي إلى أن العبثية لا تقيد نفسها بكثير من القيم الإنسانية، ولا ترى أن هناك أي مضمون حقيقي وراء السلوك الإنساني الذي تحلل في المجتمع الغربي بسبب سيطرة الآلة على مسارات الحياة حتى أنها جعلت الإنسان ترسا في هذه الآلة الضخمة². تجد العبثية هنا أن السلوك الإنساني بسبب سيطرة الآلة قد تحلل داخل المجتمع الغربي، فأصبح الإنسان خائف وهذا الخوف قضى على شخصيته ومكانته في الطبيعة أو الحياة التي يعيشها وضاع وسط العولمة وفقد تفكيره العقلاني وهذا

1-مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي (مادة العبث)، دار أسامة، عمان، ط 1، 2009، ص 308.

2- المرجع نفسه، ص 308.

يرجعه أصحاب المدرسة إلى الفراغ الروحي، فيكون إنسان يائس لاعقلاني، ليس لديه أي هدف .

أما العبث في اللغة الفرنسية تعني absurde " الشيء الذي يزعج الأذن، ويجرح المشاعر، الصوت الذي لالحن له القاسي الأجنس وتعني مجازاً، كثيراً من المعاني أهمها غير معقول فوضوي مضحك، مرتبك، منقسم على نفسه، متنافر، إسراف حسي غير متحضر " ¹.

وكل هذه المعاني للعبث في اللغة الفرنسية تؤدي إلى ما قالتها المعاجم غير معقول .

وفي مقالة كتبها يونسكو عن كافكا يحدد العبث بأنه : الشعور بأن العالم قد خلا من الهدف والإنسان صار منزوعاً من جذوره الدينية والميتافيزيقية، وضاع الإنسان وأصبحت كل أفعاله بلا معنى، عبث وبلا جدوى ².

نجد أن العبث يظهر حين يشعر الإنسان بأنه لم تصبح له قيمة لأهدافه في الحياة ونزعت منه كل عوالمه الإنسانية ليصير إنسان كل أعماله ورغباته وميولاته بلا جدوى .

أما عند نجيب محفوظ فالعبث هو " فقدان المعنى، معنى أي شيء، انهيار الإيمان، الإيمان بأي شيء والسير في الحياة بدافع الضرورة وحدها ودون اقتناع وبلا أمل حقيقي " ³.

وهناك أيضاً مصطلحات تدل على العبث سنذكرها الآن وهي المحال واللامعقول.

1-نادية البنهاوي، بذور العبث في التراجيديا الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر (دراسة مقارنة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 11

2- حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، مكتبة دار الكلمة، مصر، 2002، ص 54

3- المرجع نفسه، ص 85

ثانياً: مفهوم المحال

لغة : " المحال بضم الميم، اسم مفعول من أحيل، هذا الممكن، المحال عقلاً، الذي لا يتصور العقل وجوده كاجتماع الضدين في مكان واحد وزمن، وأمر محال : أي مستحيل ووجوده غير ممكن " ¹.

والكثير يرى أن ترجمة الكلمة اللاتينية l'absurde تعني المحال أكثر من كلمة العبث .

والمحال ما يعجز العقل على أن يقرر في شأنه إن كان يخالفه أو لا يخالفه، وأهم من هذا وذاك وأشد غموضاً إطلاق كلمة المحال في لغة كل يوم على ما يعتقد الإنسان أن يخالف العقل، سواء في ذلك أكان الحديث عن لفظة أو فكرة أو إنسان ².

والمحال هنا نجده يضع العقل في متاهة وحيرة، والأكثر من ذلك هو إطلاقنا اليومي لهذا المصطلح في اعتقادنا أنها تعني المستحيل والغير ممكن ولا يتقبلها العقل .

ومحال كما " قال الجرجاني في تعريفاته والمحال ما يمتنع وجوده في الخارج كاجتماع الحركة والسكون في جزء واحد " ³.

كما أننا في حياتنا اليومية نستعمل كلمة محال ويستحيل واستحالة لكل ما لا يتقبله العقل وإن نبادر فنقول إن كل ما يناقض عاداتنا العقلية والفكرية، أو ما لا يدل على دلالة معينة تواضعنا عليها بحكم العقل أو حكم التقليد فهو محال ⁴ . وترد في المعاجم الفلسفية كلمات أخرى للمحال مثل : العبث أو اللامعقول، أو اللاجدوى أو اللامعنى.

1- موقع إلكتروني : www.ardodict.com

2- عبد الغفار مكاوي ، ألبير كامى (محاولة لدراسة فكره الفلسفي) دار المعارف بمصر، 1964، ص 20.

3- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 579.

4- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامى، ص 20.

"فالمحال " هو كل ما يخالف قواعد المنطق وهو ما لا يمكن وجوده، ولكن ليس بمعنى استحالة وجود الأشياء، أي بمعنى عدم امتلاكه شروط الوجود الواقعية"¹.

- اصطلاحاً:

"المحال من الأشياء ما لا يمكن وجوده، والمحال من الكلام ما عدل عن وجهه كالمستحيل، وقيل المحال ما يناقض ظواهر الطبيعة، أو يتعارض وقوانينها الثابتة، أو يكون غير مستوف لشروط الوجود الواقعية"².

نجد هنا أن المحال هو من المستحيل ومن الأشياء غير الموجودة أو لا يمكن إيجادها، والمحال ما لا يجوز كونه ولا تصوره مثل قولك الجسم أسود أبيض في حال واحدة³.

هنا يستحيل على العقل تصور موقف كهذا أو تجسيده ولا يمكن تقبل أن هناك شيء يكون له لونين في آن واحد وفي وقت واحد مثلما ذكرنا في المثال السابق.

أما في الفلسفة فنحن نفهم عادة تحت كلمة المحال ما يتعارض مع قوانين المنطق، فالفكرة ((المحالة)) فكرة لا سبيل إلى التوفيق بين عناصرها والتأليف بين أجزائها⁴.

كأن تكون هناك قضية إما صادقة أو كاذبة ولا توسط بينهما، هنا نكون بين موقفين متعارضين لا يقبلان التحيز لطرف من الأطراف، هل يمكن أن تكون هناك قضية لا يجوز عليها الصدق ولا الكذب، أو يجوز أن تكون صادقة وكاذبة في آن واحد، بحيث يمكن أن نطلق عليها اسم المحال⁵؟

1-سوران عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 57.

2 -جميل صليبا، المعجم الفلسفي (مادة المحال)، ص 350.

3- مراد وهبة، المعجم الفلسفي (مادة محال)، ص 579.

4 -عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، ص 21.

5- المرجع نفسه، ص 21.

وتعني هذه الفكرة أننا نجد أنفسنا في حيرة فعندما تكون لدينا قضية ما هذه القضية لا تكون صادقة ولا كاذبة ومن الممكن أن تكون أيضا صادقة وكاذبة أي لا يمكن الفصل بين أن تكون صادقة تماما أو كاذبة تماما، كما لا يمكن الفصل بين أن تكون غير صادقة وغير كاذبة في آن واحد، هنا القضية نعتبرها من قضايا المحال، أو من القضايا المستحيلة ونطلق عليها مصطلح محال قضية مستحيلة. ونجد أيضا كلمة المحال ترادف المستحيل والعبث والمحال هو أيضا الاستحالة والسخافة ومناقاة العقل، وحكم المحال هو الحكم الذي يتضمن غطا ينتهي به بالضرورة إلى نتيجة باطلة ويكشف عن الفساد في بناءه الصوري¹.

هنا المحال بهذا المعنى أهم من التناقض، لأن المحال هنا ما يمتنع وجوده في الخارج². وما يعجز العقل أن يقرر في شأنه وظاهرة المحال لا تنطبق عليها قوانين المنطق.

كما نجد القضية العالم محال "ألا تعني هذه القضية أن العالم مجرد عن المعنى، أو أنه خال من كل غاية يمكن أن يهدف إليها الموجود من وجوده"³.

وتعريفات المحال كلها تدل على شيء واحد وهي إثبات شيء ما أو إثبات أمر ما مع نفيه لأنه غير مقدور عليه المحال أي المحال غير مقدور أما المقدور فهو ليس بمحال، الجماد يستحيل أن يخلق فيه العلم، لأننا نفهم من الجماد ما لا يدرك فإن خلق فيه إدراك فتسميته جمادا، وبالمعنى الذي فهمناه. وفي مفهومنا للمحال نجد أنه أيضا لا ينفي العقل تماما ولا يحتقره يقلل من قيمته بل إنه يقرّ بوجوده ولا ينكره ولا ينفي وجوده .

1-برابح عمر، مقال ألبير كامبي...من العبث إلى التمرد، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، سبتمبر 2016، جامعة وهران 2، الجزائر، ص 306.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (مادة المحال)، ص 350.

3-مراد وهبة، المعجم الفلسفي (مادة المحال)، ص 579.

ثالثاً : مفهوم اللامعقول

لغة : معنى اللامعقول في معجم المعاني الجامع معجم عربي _عربي هو اسم مفعول من عَقَلَ عن منطقي يقبله العقل ويمكن تصوره أو إدراكه وتصديقه، وغير معقول أولاً معقول : لا يقبله العقل ولا يصدّقه .واللامعقول : ما لا يمكن تصوره أو إدراكه وهو المناقض للعقل أو الغريب عن العقل، أو الذي يقف عنده التفسير المنطقي للأشياء ¹.

نجد هنا أن اللامعقول هو التفكير الذي لا يستطيع العقل إدراكه وتصديقه، أي يناقض العقل فهو يتجاوز الحدود العقلية ويبتعد عنها ولا يمكن للعقل مجاراته لأنه لا يمتاز بتوضيحات منطقية، لكن اللامعقول لا ينكر العقل بل يتعدى حدوده فقط لأنه لو أنكر العقل لما استطاع أن يدرك نفسه لكنه لا يتفق مع قوانين العقل.

واللامعقول في أصلها اللاتيني تعني "الشيء المتنافر، غير المتناغم، غير المتوافق أو غير المنسجم، وبذلك يصبح ذلك الشيء _ أي كان _ غير معقول وعبثياً، أما على وجه التحديد، فإن الشيء غير المعقول هو وضع الإنسان في الكون الذي نحن فيه كجزء من جزء صغير جداً من مجموع الذرات " ².

لذلك لا بد للإنسان أن تكون لديه معرفة حقيقية وذلك من أجل التخلص من هذه الأضداد والتناقضات والمتناقرات واللاانسجام .

-اصطلاحاً : اللامعقول مصطلح من المصطلحات الشائكة في مجال تاريخ الأفكار، لأننا نجده في أشكال وسياقات متنوعة ،فهي تعني عادة نفي وعجز وغياب العقل.

واللامعقول هو اللامفهوم الذي لا يستطيع إدراكه أو تفسيره، بأسباب مقبولة في العقل ³

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (مادة اللامعقول)، ص 275.

2- علاء الدين العالم، تيار العبث بين الفلسفة والمسرح، ص 2.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (مادة اللامعقول)، ص 275.

أما عند ميرسون " يطلق هذا اللفظ للدلالة على الحد الذي يقف عنده التفسير العقلي الذي يتجه باستمرار إلى الكشف عن الهوية والتشابه " ¹.

فاللامعقول هو كل ما ينافي العقل ويكون غير مفهوم لا منطقي لا يمكن تفسيره بأسباب معقولة، لأنه يخالف قواعد العقل والمنطق.

وكما ذكرنا تعددت سياقات اللامعقول نذكر منها ثلاث سياقات أو تعريفات،

أولاً : السياق الاستيمولوجي أو المعرفي، وهنا تستخدم الكلمة لتشير إلى كافة الاتجاهات والتيارات الفكرية والفلسفية التي تناصب العقل العداء أو تستبعده من دائرة اهتمامها، أو تسلم بعجزه عن الوصول إلى الحقيقة، مثل معظم الاتجاهات الصوفية أو اللاهوتية أو الرومانسية أو الارتبائية ². هذا يدل كله على أن اللامعقول ينافي العقل .

ثانياً : السياق السياسي، يتميز مفهوم اللامعقول بأنه نتاج ظروف سياسية وعالمية كبرى، يرجع ذلك إلى الحروب العالمية المدمرة والويلات والدمار المادي الذي طال أوروبا فأروا أن جميع النتائج التي نجمت عن تلك الحروب هي سلبية خلفت نفسية سيطرت عليها انعدام الثقة في الآخرين فكان انعزال الإنسان الأوربي وفرديته، فظهر مفهوم جديد في المسرح المعاصر أطلق عليه مسرح اللامعقول ³. وأيضا تشير الكلمة إلى بعض الاتجاهات السياسية التي تستند إلى خلفية ميثولوجية أو تقوم على منظومة من الأفكار الغيبية والخرافية مثل : الأيديولوجيات القومية والعرقية، خاصة الاتجاه الفاشستي الذي يقوم على بعض المبادئ مثل عبادة الزعيم تقديس الأمة تهميش أو إلغاء دور العقل في

1-مراد وهبة، المعجم الفلسفي (مادة اللامعقول)، ص 535.

2 -حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، ص 17.

3- محسن النصار، مفهوم مسرح العبث أو اللامعقول في المسرح المعاصر (مقال منشورة)، 2011/8/1، 10:56،

الموقع : www.m.ahewar.org .

مقابل التركيز على العاطفة، استخدام كافة الأساليب الديماغوجية (أي الدعاية السياسية الكاذبة)¹.

فاللامعقول اتجاه يسعى إلى التجديد والتخلص من الحضارة الآلية الجديدة ووضع تفسير جديد للإنسان المعاصر، وكان ظهوره جليا وواضحا بعد الحروب العالمية في محاولة للتعبير عن التمرد الاجتماعي على الحروب الدامية وما فيها من مصائب وما تبعها من ويلات وما خلفته من قتلى، وشحوب الروح والعقل وانسحاق فردية الإنسان من خلال تغذية أرواح الناس وعقولهم بالخرافات وتجنيدهم للدفاع عن مكاسب نفس المؤسسات غير الإنسانية واتخذ اللامعقول أساليب للنزول إلى أعماق النفس البشرية للحكم كونه لا يخضع إلى قوانين المنطق لإثارة الإحساس بالقلق نحو الوجود لعكس ذات الإنسان المعاصر. أما ثالثا في السياق الحضاري وفي هذا السياق تدل كلمة اللامعقول على " مرحلة معينة في تاريخ الحضارة الإنسانية كانت سابقة للمرحلة العلمية وهي مرحلة الفكر السحري الأسطوري، وهي مرحلة تميزت بسيادة العناصر الخيالية والغيبية والفيتشية"².

هذا فيما يخص سياقات اللامعقول، ولا يخفى علينا أن أفكار اللامعقولية تؤكد لا جدوى الفعل الإنساني وعبثية وجوده، وعادة ما نقول إن شيئا ما محال ونعني بذلك أنه لامعقول ومع كل هذا فاللامعقول ليس إلا مواجهة هذا العالم المنافي للعقل بالرغبة المستميتة في وجوده على الإنسان مثلما يعتمد على الوجود ذاته .

1- حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، ص 17

2- المرجع نفسه، ص 17

رابعاً : مفهوم التمرد

-لغة : تتشقق كلمة تمرد من " الفعل الثلاثي مَرَدَ : أي لين الشيء وصقله، ويقال مرد فلان أي عتى وعصى وجاوز حدّ أمثاله من البشر " ¹

وتشير بمعنى آخر " تمرد الغلام، مرد، وتمرد على الشيء، مرن عليه واعتاده وتمرد على القوم عصى عنيدا مصرا ويقال تمرد على الشر، طغى " ².

وهناك مصطلحات أخرى تعرف التمرد : تمرد على أهله أي عصاهم وتجاوز طاعتهم أي أنه ولد عنيد ولد متمرد، أما تمرد الجند في المعسكر على أوامر الضباط : أعلنوا هنا تمرد على السلطة، وتمرد على النظام والخروج على قوانينه وعدم الاعتراف بأوامرهم، والتمرد يمكن أن يفتح له آفاقا جديدة ، لأن الإنسان المتمرد لا يرضى أبدا عن كيانه، فهو دائم السعي إلى تغييره والعلو عليه، فالتمرد بهذا المعنى موجود في كل تجربة إنسانية، لأن كل تجربة إنسانية جديرة بهذا الاسم تحتوي على نوع من الرفض للواقع كما هو عليه .

ومن ناحية أخرى تدل كلمة المارد العاتي على الرجل الشديد، وكلمة مَرَدَ على محاربة الشر ³.

-اصطلاحاً : التمرد أو العصيان هو " رفض تنفيذ الأوامر، وهو سلوك اجتماعي يهدف إلى الخروج على السلطة ومظاهر النفوذ بما يتوافق مع أفكار المتمردين، وينتج عن إحساس الأفراد بالظلم والقهر والخضوع للأنظمة والقوانين التي تحكم الإنسان دون رحمة

1- كرم البستاني، المنجد في اللغة والإعلام (مادة التمرد)، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1973، ص 755.

2- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط (مادة التمرد)، ص 191.

3- ابن منظور الإفرقي، معجم لسان العرب، المجلد الثالث عشر (مادة التمرد)، دار الكتب العلمية، بيروت.

أو عدل وينطوي هذا المفهوم على معنى أخلاقي إنساني هدفه تحقيق العدالة والكرامة والمساواة إزاء انتشار الظلم والفساد¹.

وتعني بذلك أن التمرد هو مجموعة من أنماط السلوك الاجتماعي الموجه إلى أشكال السلطة المختلفة ومظاهر النفوذ وإعادة بنيتها وسمات مظاهرها على حسب ما يتوافق مع أفكار المتمردين أو الشكل الذي يخدم الفاعلين، ونتج هذا الشعور عند الأفراد من خلال إحساسهم بالقهر والظلم والقوانين التي تحكم بلا رحمة أو شفقة أو عدل، وهدفهم تحقيق الكرامة والمساواة والعدالة أمام الحكم الفاسد الظالم، وتبدأ كل ثورة اجتماعية بعملية تمرد تقوم بها جماعة من الأفراد ثم تستقطب مجموعات أخرى من الناس حتى تعم أغلب الفاعلين الاجتماعيين وتنظم تمردهم على القيم السائدة والمطالبة بقيم جديدة تحقق الخير للبشرية .

ويأخذ التمرد شكلا آخر وهو التمرد الجماهيري ويشارك فيه عدد كبير من المواطنين والتمرد العسكري يقوم به عناصر من القوات المسلحة أو من قوات الأمن أو الاثنين معا، وهو أكثر خطورة لأن العناصر المتمردة في هذه الحالة تمتلك السلاح والخبرة القتالية.

وعصر الجماهير يكثر فيه تجمع الناس في كل مكان، ومحاولتها أن تشق لنفسها الطريق وصنع مصيرها بالتمرد على المبادئ في هذا المجتمع فالتمرد يكون للإطاحة بالنظام ورفض ما هو حالي إذ يتنافى مع العقل وبما أنه تمرد جماهيري لا بد أن تعم الفائدة منه الجماعة . وهناك أيضا التمرد السياسي " القائم على الرفض والتحدي ومقاومة السلطة، وقد يأخذ شكلا

1- سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص ص 124. 125.

فرديا يهدف إلى منع ممثلي السلطة من ممارسة صلاحياتهم وهذا النوع لا يشكل خطرا على السلطة والدولة " ¹.

وفكرة التمرد ليست إلا فرضا يحاول به أن يفسر اتجاه عصرنا تفسيراً جزئياً، كما يحاول تفسيره في انفلاته من الحدود يكاد أن يكون هذا التفسير شاملاً وهو فعل إنساني ينصب على الواقع من أجل إعادة أجزائه المتفرقة إلى الائتئام، والتمرد وحده من يفتح أفق جديدة كانت مغلقة .

وفي التمرد يتحد المضطهد مع كل المضطهدين وتتحقق الهوية التي تجمع بين الإنسان وأخيه الإنسان، والتمرد كذلك تضامن ففيه يعلوا الإنسان على نفسه ويتجاوزها إلى الآخر ويعي فيه الإنسان وجوده كما يعي وجود الآخرين، وعن طريق هذا الوعي يعرف تضامنه مع كل من يشاركونه في الإنسانية وفي نفس الوجود، سواء في ذلك توصلوا إلى ذلك الوعي أو لم يتوصلوا إليه ².

نجد في عملية التمرد يتفق ويتضامن كل المضطهدين لإعادة الاعتبار لأنفسهم واسترجاع مكانتهم وإثبات شخصيتهم فيحدث التآزر مع بعضهم البعض لإثبات أيضا الوجود، ولا يهم إن وصلوا إلى ما يريدون أو لا المهم عندهم أنهم فعلوا ما عليهم " ذلك أن التمرد يكشف للإنسان عن وجود جانب من نفسه على قدر كبير من الأهمية يستطيع عن طريقه أن يقف على ماهيته بوصفه إنساناً، وأن يواجه باسمه عبثية الوجود " ³.

ومنه نجد أن الإنسان بفعل التمرد يستطيع أن يخرج ما لم يستطع إخراجه ويستطيع التعبير فيه عن نفسه لأن هذا الفعل _ فعل التمرد _ يحدد كيانه كفرد وإنسان من البشر، لأن التمرد يكون في الهجوم على المبادئ الأخلاقية التقليدية من أجل

1 سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 125

2-عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، ص 114

3 -جون كروك شانك، ألبير كامو وأدب التمرد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 147

النهوض بها إلى قواعد أخلاقية أسمى منها وأرقى أن تكون ظالمة وغير صالحة لجميع الناس بل تخدم الجماعات .

ولا بد للمتمرد من أن يكون مقترنا بشعور أنه على حق بصورة ما وفي مجال ما، وحركة التمرد ليست حركة أنانية للفرد فقط بل إن المتمرد يتمرد ضد الأشياء التي يراها غير مقبولة، ويتمرد ضد الكذب مثلما يتمرد ضد الاضطهاد، والمتمرد هنا يغامر بكل شيء لأنه يطالب بالاحترام من أجل ذاته .

ولا يمكننا القول إن المتمرد في شعوره بالظلم والفساد والاضطهاد يفعل فعلته " بل قد ينشأ أيضا لدى مشاهدة الاضطهاد الذي يتعرض له شخص آخر، هناك إذن في هذه الحالة توحد ذاتي مع الشخص الآخر، ويجب أن نبين بأن المسألة ليست مسألة توحد ذاتي نفسي، مسألة وسيلة يحس الفرد بواسطتها في مخيلته أن الاهانة موجهة إليه " ¹. هنا عندما يرى الفرد ظلم لفرد آخر يتضامن معه ولا يتحمل رؤية الاهانة للآخرين، فهو يحس بأنها موجهة له لأنه سبق له أن تحملها في نفسه دون أن يقوم بفعل ما أي تمرد .

هذا فيما يخص كل من المفاهيم العيبية فمن العيب ينتقل الإنسان إلى شيء ما وهو التمرد يتمرد على ما واجهه من عيب .

فكيف تجسد العصور هذا الانتقال؟ وما هو الشيء الذي دفع الناس إلى التمرد؟ هل هو إحساسهم بالعيب؟

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ترجمة : نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 3، 1983، ص 22.

المبحث الثاني : المسار التاريخي لظهور فكرة العبث

أولاً : مفهوم العبث عند اليونان

مفهوم العبث هو مفهوم قديم تعود إرهاباته إلى الأساطير اليونانية القديمة، فالأسطورة عندهم تمثل صورة الإنسان العبثية في علاقته بالكون يحيا ويتعذب فيه بشكل غير مفهوم ويصارع العبثية من خلال العلاقة بينه وبين الكون وذلك بإرادة الآلهة، فالليونانيون كانوا يؤمنون بقدرة الآلهة سواء في تسلطها أو جبروتها الغير منتهية .

ويرى اليونانيون " أن كل ما تمثله الآلهة حق وما عداه هو الباطل، وتتمثل المأساة في الصراع الدائم بين القدر والإنسان، إذ يلهو القدر بإرادة الإنسان، ويجتهد الإنسان في التمرد عليه ولكن تبقى النهاية لصالح القدر " ¹.

فالليونانيون كان لديهم إيمان واعتقاد بأنهم مثل الآلهة، وهناك فرق واحد بينهم وبين الآلهة وهو قدرتهم على التحكم في مصيرهم، فتجدهم يحبون ويكرهون ويحققون ويبغضون وحتى يتجبرون ويظلمون وفي بعض الأحيان يعذبون، لكنهم بعد هذا كله سينتصرون ويستطيعون الخروج من هذا الوضع المأساوي المزري الذي يقوم بفعل هذه الأشياء التي تعذبهم من سلالتهم . ولهذا كان اليونانيون البسطاء راضين إلى حد بعيد إذ كانوا يعتقدون أن كل ما تفعله الآلهة بهم هو الحق حتى فجيعتهم بحقيقة الموت كثير يرضون بها كنوع من الحكمة، وإن كانوا يتغذون من منطق فكرة الخير والشر والثواب والعقاب ². وهذا الصراع القائم بين القدر والإنسان دفع كتاب التراجيديا اليونانية إلى تصوير هذه المأساة على شكل أساطير .

1-سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 58.

2-نادية البنهاوي، بذور العبث في التراجيديا الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر،

نجد أن اليونانيون القدماء كانوا يتقنون في عدالة الآلهة وكانت العلاقة عبارة عن صراع عمودي بين الأرض والسماء ومساوية الإنسان الذي يفاجئه القدر بأشياء لا يتخيلها مثل ما حدث لأوديب ولعنة لابداكوس عليه كما صورها لنا سوفوكليس والتي لازال أولاد أوديب يدفعون ثمنها وتكمن قصة أوديب في أنه قتل أباه وتزوج أمه، لكن في الحقيقة، " لم يكن خروج أوديب من كورنثا إلى طيبة حيث قتل والده على أسوارها وتزوج أمه بعد ذلك إلا هروبا من قدره الذي ساقه إليه أبولون ذاته وتنبأ له به " ¹.

لكن ما حدث ليس كما تصوره سوفوكل حيث جعل من الحياة عبثا وفوضى لأن أوديب بريء من هذه الجريمة الشنعاء، فقد قدر عليه أن يكون بطل القصة من غير إرادته أو علمه فقدره كان يلحقه لتنفيذ القدرة الجبارة لإرادة الآلهة وهذا هو قمة العبث وقمة سخرية الآلهة والقدر وشخصية أوديب من الأساطير التي تجسد عبثية العدالة الإلهية.

" وقد قادته آلامه العبثية وعذابه في النهاية إلى ((أن كل شيء حسن)). وذلك بعد أن وصل في نهاية رحلة عذابه إلى تقبل أي شيء يحدث له وفقا لطبيعته مستمرا في الحياة رغم عبثيتها بنور فطرته التي جعلته يتعلم كيفية التعايش مع العبث وكل ما هو غير معقول حيث أدرك أن المعقول صار لامعقول واللامعقول هو المعقول " ². وتعتبر لعنة أوديب نموذجا لمفهوم العدالة العبثية . والتراجيديا اليونانية تحتوي على العديد من الأساطير التي تحكي وتعبّر بصورة واضحة عن العبث، مثل : الألم، والظلم، وكل أنواع العذاب، كل هذه تضع بين أيدينا أفكارا مثل : العناية الإلهية، العدالة الكونية المسؤولة البشرية داخل قفص الاتهام ونجد أن العذاب الذي لقيه الأسطوريون يمثل العبث أصدق تمثيل، وتمثلت الأساطير في مجموعة من الأبطال يعكسون الصورة العبثية للآلهة، ومن هذه الصورة اللعنة الإلهية على البشر، أولا لعنة الآلهة على تانتالوس حيث حكمت عليه

1-نادية البنهاوي، المرجع السابق، ص 37.

2 - المرجع نفسه، ص 37.

الآلهة بثلاثة أنواع من العذاب : العطش والجوع والخوف لأن الآلهة ادعت أنه قام بتحضير لحم البشر لهم في الوليمة وقام بإعطاء بعض الأكل والشرب الخاص بهم للبشر، وكذا أنه كان يسرق ويحلف بالإله زيوس فحكم عليه بهذا العذاب " وهكذا يعيش تانتالوس منذ بدء الخليقة حتى اليوم، وهكذا سيعيش إلى أبد الأبد، ظمآن والماء حوله زلال جوعان والطعام بين يديه ناضج، خائفا والأمان مكفول له، هكذا يعيش تانتالوس دائما وأبدا، يغمر الماء الزلال جسده ولا يستطيع أن يشربه، تداعب الثمار الحلوة عينه ولا يتمكن من أن يذوقها، تميل الصخرة الضخمة وتتأرجح فوق رأسه ولا تصيبه بسوء " ¹، غير أن تانتالوس مازال يعيش على أمل ويكافح للتخلص من عذابه، وكفاحه الدائم من أجل الطمأنينة، ومثلما حكمت الآلهة تانتالوس بأن يعاني الجوع والعطش والرعب، كذلك حكمت الآلهة وأنزلت لعنتها على بروميثيوس حيث " حكم زيوس على بروميثيوس أن يضل مصلوبا على شجرة ملتصقا جسده بصخرة ضخمة ويأتيه كل يوم نسر زيوس الضخم فيتغذى على كبده، ثم يتجدد نفس الكبد من جديد كل يوم ليأتي النسر ثانية، ويأكله فيتجدد وهكذا ... إلى ما لا نهاية " ². ومضمون القصة أو اللعنة والسبب وراء هذا العذاب هو أن بروميثيوس لم يكن أمينا على أسرار الآلهة، حيث سرق النار من الآلهة وأعطها للبشر، ولذلك اعتبر أن بروميثيوس خائن فقد أعطى سرا من أسرار الآلهة الخالدة للإنسان الفاني، فكان عليه تحمل العذاب العبثي الذي وضعه زيوس .

تعتبر هذه الأبطال أبطالا مأساوية أو أبطالا حقيقية، فهم يعرفون أن الحياة عبث لكنهم يعملون ويصمدون حتى النهاية، لأن أهم الأساطير التي نقلت تدل على أن الحياة

1- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، الجزء الأول أساطير البشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 124.

2-نادية البنهاوي، بذور العبث في التراجيديا الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر، ص 36.

عبث، فهم لا يشعرون أنهم يقومون بعمل يائس لأنهم يأملون دائما أنهم سوف يصلون في النهاية .

كل هذه الأساطير وغيرها تبين لنا الإرادة العبثية التي فرضتها الآلهة وممارستها وأنزلتها بقدرتها على البشر الضعفاء الذين لا يملكون مفر ولا مخرج من هذا الوضع سوى الخضوع والاستسلام والقبول بهذا الأمر وكانت الأساطير اليونانية القديمة قد بنيت ومثلت العلاقة بين المتضادين والمتمثلة في الآلهة الحاكمة وقدرهم الأعمى، والإنسان الذي يحاول جاهدا في تقبل هذا الوضع وهذا القدر العبثي الذي فرضته الآلهة عليهم والذي لا بد من فعل شيء ما أو التمرد عليها والوقوف ضد جبروتها، وقد كانت أسطورة سيزيف أكبر مثال على العبث والتمرد في الأساطير اليونانية القديمة فكانت تعكس التمرد على الآلهة، والأسطورة تقول أن الآلهة حكمت على سيزيف أن " يبقى سيزيف في عالم الموتى إلى الأبد، عليه أن يحمل على كتفه صخرة ضخمة شاهقة في حجم جزيرة أنجينا، في حجم الصخرة التي تحول إليها زيوس، كي يهرب من غضب أسويوس عليه أن يحمل الصخرة الضخمة على كتفه، يحملها ويتسلق جانبا وعرا منحدرًا لجبل شاهق حتى يصل إلى القمة ثم يضعها فوق القمة"¹

لكن ما يلبث حتى تسقط مرة أخرى وتتدحرج لتصل إلى سفح الجبل ليعيد الكرة سيزيف فيرفعها مرة أخرى وما إن يضع الصخرة فوق القمة حتى تتدفع وهكذا بلا انقطاع ويبقى في هذا العمل العبثي من أجل الخلاص من الحكم العبثي للآلهة . وقد انتشرت هذه القصة في العصر القديم والحديث، وتعددت الروايات حول السبب وراء هذا العذاب، وحاول الكل تفسيرها، حيث رأى البعض أنه نتيجة لسرقة أسرار الآلهة عندما أخبر أسويوس أن الإله زيوس سرق ابنته أنجينا مقابل أن يفجرن المياه العذبة لقلعته، بينما

1- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، ص 140.

هوميروس يردها إلى مكر سيزيف لإله الموت بلوتو عندما قام بتكبير يديه والإغلاق عليه في قصره مما أدى إلى توقف موت البشر خاصة في الحرب.

" وهذا ما يوضحه أفلاطون في محاورته طيماوس : « إن كل الرجال الذين يمتلكون درجة من الإحساس الصادق، سقراط، يناشدون الإله على الدوام عند بداية كل عمل، سواء إذا كان هذا العمل كبيرا أم صغيرا، ونحن أيضا الزاهبون للحديث عن طبيعة الكون، كيف أبدع وكيف يوجد بدون إبداع، وإذا لم نكن نحن مجردين من حصافتنا بشكل تام، فيجب علينا أن نتضرع لمساعدة الآلهة والآلهات وأن نصلي كي يمكن لكلماتنا أن تلقى القبول لديهم قبل كل شيء » " ¹. ورأى أغلب الفلاسفة والمفكرين المحدثين أن سيزيف رمز للكفاح البشري من أجل الوصول إلى حرياتهم ورغباتهم، فهم يعرفون أن الحياة عبث وحكم الآلهة عبثي ولا بد من التمرد . ولم يكتمل العبث أو لم يظهر ويندثر في العصر اليوناني يل تعدى إلى العصور التي بعدها وكان له أثر أيضا في العصر الحديث والذي تمثل فيما يلي .

1- سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو ، ص ص 62، 63.

ثانياً : مفهوم العبث في العصور الوسطى

تختلف نظرة الفلاسفة للعبث في العصر الوسيط عما كما سائدا في اليونان حول العلاقة بين الإله والعالم والإنسان، فنجد في العصر الوسيط قد ازدادت وتوسعت الفجوة بين الآلهة والإنسان، فأدى ذلك إلى شعور الإنسان بهذا الفرق وبعده عن الآلهة زاد أكثر فأكثر، ولم يعد باستطاعته فهم نفسه أو إدراك أسراره وزعزعة الثقة بقدرة العقل على إدراك العالم الإلهي، وكان هناك طرفا هذه المفارقة وهما الإله والإنسان، فقدرة الإله لا متناهية وتجسدها الكنيسة، " أما الإنسان فهو عاجز عن فهمها مستسلم وخاضع لها غير قادر على تسوية هذا الخضوع، أو إيجاد تسوية للآلام التي يتعرض لها في حياته، وهذا ما أفضى به إلى الإحساس بالعبث الناشئ عن عدم الفهم أو إدراك المصير أو تجويز لا أخلاقية العالم " ¹. وبرزت هذه الأفكار عند أرسطراطية العصور الوسطى مفكروها وعلمائها، وكان معظم هؤلاء من رجال الكنيسة، كانت الكنيسة تفرض نفوذها وعبثيتها وتقرر كل شيء في قضايا وجود الله وقواعد السلوك الاجتماعي، وكان رجال الدين ينشرون الخرافات من أجل خدمة طبقة الأثرياء التي كان كبارهم منها، وكان لا بد من القضاء على النظريات الجديدة التي تتعارض مع مصلحتهم .

"في القرن السادس عشر والسابع عشر بلغت الحرب على العلم ذروتها، ذهب ضحيتها أهم وأعظم العلماء متهمين بالمروق والخروج على تعاليم الكنيسة، فالفلكي الكبير نيكولاس كوبرنيكوس كاد أن يحرق لولا أن أدركه الموت قبل إعدامه 1543، وجيورداو برونو أحرق إثر محاكمة كنيسة في ميدان بيازادي فيوري في روما 16 فبراير 1600، لأنه أيد كوبر نيكوس في أن الشمس مركز الكون وليست الأرض، كما تقول الكنيسة" ².

1-سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 61.

2-فاروق القاضي، آفاق التمرد، قراءة نقدية في التاريخ الأوربي والعالم الإسلامي مركز البحوث العربية والإفريقية، القاهرة، ط 1، 2004، ص 21.

ومن خلال هذه الثورة على الكنيسة فقد دفع الكثير من العلماء ثمنًا وهو حياتهم حيث نكلت بهم الكنيسة الكاثوليكية كل تنكيل، والسبب هو أن المنهج الذي اتبعه هؤلاء العلماء في بحثهم وتفكيرهم لا يطابق ولا يخدم رجال الدين والكنيسة .

وكذا برزت هذه الأفكار العبثية أيضا عن الفلاسفة المسلمين خاصة المتصوفة منهم فهم كذلك قد شعروا بالغرابة عن العالم الذي تتحكم فيه السلطات الحاكمة، ورأوا أن السلطة الحاكمة تختص بالتبذير واللغو في الحياة وتتبع الملذات، وزهدوا على أنفسهم " وهذا ما نتج منه بالضرورة إحساس هؤلاء المتصوفة بالغرابة الروحية عن ذواتهم، وعن العالم الذي يفرض عليهم ما لا يريدونه أو يستطيعون تسويغته وهذا ما يعزز إحساسهم بعبثية العالم"¹.

كانت التجديد غير مقبول في العصر الوسيط مثله مثل العصر اليوناني، ففي العصر الوسيط _ مثلما قلنا سابقا _ قد اهتموا بالكنيسة فجاليو غاليلي لم يسلم من رجال الدين حين أتى بفكرة نفيه أن الأرض تدور حول نفسها، وأندياس فاسيلوس أبو علم التشريح أحسن حظا من هؤلاء باتهامه أنه يعتدي على جسد الإنسان والإنسان مخلوق الرب، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية المسيطرة آنذاك ولم تكن تهتم بالتجديد وكان المحافظون ضد التجديد، ولم يقتصر العبث على الكاثوليكية بل أيضا البروتستانتية في هجومها على الألماني يوهان كيلر صاحب علم الفلك الحديث 1630، ... وغيرها من أشكال العبث الذي اختص به العصر الوسيط من زيف للمسلمات والمعتقدات، وكانوا مهتمين بدراسة اللاهوت، والتعلق بالدين وعدم فسح المجال للعلم بالتقدم وتكبير العقل، وكان الإنسان خائف من ارتكاب الخطايا لأنه كان مصاب بهوس الخوف والوقوع في الخطيئة والتكفير عنها، بل إنه لم يجد الخلاص منها أو أي مخرج، حتى إنه لم يكن واثقا أنه سينجو بروحه في الدار الآخرة .

1-سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 61.

كانت الأمية والجهل والتعصب الديني أقوى كانت الأوضاع أكثر حلقة إذ تميزت بسيطرة رجال الدين الذين كانوا يزعمون الإصلاح وإخراج أوربا من الفوضى وبالتالي نجد أن العصر الوسيط كان تحت سيطرة الكنيسة على كل فكر وكل ذلك باسم الدين، ثم جاء عصر النهضة، الذي بدأت تظهر فيه أفكار جديدة وهو العصر الحديث فكما تمثل العبث في الكنيسة فأين توجه العبث في العصر الحديث؟

ثالثاً : مفهوم العبث في العصور الحديثة

كان للعبث مفهوم آخر في العصر الحديث وذلك من خلال التطورات العلمية والتكنولوجية وذلك من خلال تطور الآلة، حيث هنا شعر الإنسان أنه أصبح مهمّش في ذاته وأحس بالغربة عن الآخرين المحيطين به، وانتقلت النظرة من النظرة الدينية السائدة أو التي كانت سائدة للإنسان وعلاقته بالكون، ووضعت داخل حيز الطبيعة، وقامت النظرة الفلسفية الحديثة بتهميش العقيدة المسيحية التي كانت تفرض سيطرتها على الإنسان من خلال رجال الدين وأعطت الأولوية للعقل وقدرته على إدراك الكون وفهم أسرارهِ والتغلغل فيه وفك غموضه، حيث أن العقل البشري تفتح على تطوير الآلة ليصبح سيد الطبيعة ومتحكماً فيها، لكن لم يكن الأمر كما توقع فقد وجد نفسه يقع مرة أخرى في الخطأ ثانية وهو العبودية، فأصبح عبداً للآلة التي صار يائساً وعاجزاً أمامها وأمام اختراعاتها، وأصبح يحس بالعبث مرة أخرى في هذا العصر، وهكذا وصل العبث للعصر الحديث من خلال التطور العلمي والتكنولوجي، حيث نجد تغيراً واضحاً في الاهتمام الفلسفي عما كان عليه الأمر أيام اليونان والعصور الوسطى، فإذا كانت مشكلة العبث في الفلسفة اليونانية تعمل على إيجاد حل للعنة الآلهة، وإذا كانت مشكلة العبث في العلاقة بين رجال الدين الذين يمثلون الكنيسة وبداية تطور العلم، فإن مشكلة العبث في العصور الحديثة لها طابع مختلف .

" وانعكس هذا على أفكار الفلاسفة ابتداءً من ديكارت الذي وضع ثنائية تقوم على الفصل بين الذات والموضوع، وتتمثل في فشل الذات وإحساسها بالضعف عن إدراك الموضوع العالم الخارجي، وما أدت إليه هذه الثنائية من تمزق هائل داخل الإنسان الذي يطمح إلى معرفة العالم الخارجي والتكيف معه وهو يجد ذاته في الوقت نفسه مقيداً لا يقوى على تغيير الواقع أو التأثير فيه أو حتى مجرد التكيف معه مما يزيد من حدة

الشعور بالعبث واللاجدوى لديه¹. هنا نجد أن ديكارت للخروج من دائرة الفلاسفة الذين قبله قام بفصل الذات عن الموضوع، وأراد لكل منهما العمل وحده وأن كلا الطرفين مستقل على الآخر، وتمثل العبث لديه في أن الذات لم تستطع إدراك موضوع العالم فخلق هنا فجوة داخل الإنسان الذي يحاول من جهة إدراك العالم الخارجي والتكيف معه، في حين من جهة أخرى أنه لم يستطع وليس بمقدوره تغيير الواقع أو حتى التأثير فيه لأننا نجد أن عقلا مشحون بما ألفناه في طفولتنا، وإذا نظرنا إلى العلوم نجدها تضخمت وتطورت، وإذا أردنا أن نقرر شيئا ما في الواقع لابد من طرح ما دخل في عقولنا من معارف، والشك في جميع العلوم، وهذا ما يدخلنا في دوامة عبثية حيث هنا يجد الإنسان نفسه أن لا جدوى لديه وتزداد حدة شعوره بالعبث.

ويفسرها ديكارت في نظريته الشكية: "إذن فأنا أشك في الحواس، لأنها خدعتني أحيانا، ولعلها تخدعني دائما، وليس من الحكمة الاطمئنان إلى من خدعنا ولو مرة واحدة"².

فديكارت هنا سلم بوجود العبثية في الواقع، وهذا ما زاد توضيحا مع فيلسوف الحزن والألم شوبنهاور، فديكارت هنا نجد ظهور العبث عنده في غياب التطابق بين الإثنين والانفصال بين الفرد وعالمه، أما شوبنهاور في معالجته للعبث " رفض الميراث العقلي المثالي وذهب إلى أن هذا العالم خلى من الإله، وأن أي محاولة للبرهنة على وجود الله أو الروح المطلق تعدّ أمرا مستحيلا، ولذلك فقد كان شوبنهاور ملحدا صريحا"³. وهنا شوبنهاور يقطع كل الروابط والصلات مع الدين والإله واعتناق الزهد أي التصوف وذهب إلى التأمل في الحياة، وأبرز معالمها ومآسيها الحقيقية دون وجود الله، فعدم وجود الله يجعل كل شيء مباح في الحياة وبالتالي هنا في غياب الإله يصبح العالم خالي من

1-سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 62.

2 -يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012/08/26م، ص 74.

3 -حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، ص 32.

الإله ومنه تعم الفوضى في العالم والعبثية فيه، أما النظر في الحياة وتفصيلها فنجدها مؤلمة فهي تصيب الإنسان بالحزن والشقاء والألم في كل لحظة يعيشها فيها، فيشعر الإنسان بعبثية الحياة وقسوتها عليه، مما يدفع الإنسان إلى الخروج من الوضع وهذا العبث، لكن بدون جدوى " ولكن الحياة مؤلمة، وإن ألمها ليعظم كلما انتسب الكائن الحي إلى طبقة أعلى في سلم الوجود، ما حياة جسمنا إلا احتضار تتأخر نهايته، وموت مؤجل التنفيذ ما دامت الحياة، ولكن الموت ينتصر في النهاية حتماً، وهو ينتصر لأنه مصيرنا منذ ولادتنا، وإنما يكتفي الموت باللغو واللعب ومداعبة فريسته إبان الحياة قبل التهامها "1.

وهنا نجد رغم محاولات الإنسان في التخلص من العبث إلا أنه يقع فيه في كل مرة لأنه يعزز وجوده ما دام يعيش في هذه الحياة العبثية، خاصة إذا حاول التخلص منه فإنه يزداد حجماً " والألم العظيم يصيب الكائنات الحية العاقلة أي القدرة على الوعي والتفكير وهي البشر، وكلما سمت طبيعة البشر وكان المرء أكثر نبوغاً وأعظم عبقرية، أصيب بالألم الكبير العظيم "2.

وقد لاقت نظرية شوبنهاور حول عدم وجود الإله إعجاب نيتشه، وقد مضى في طريق الإلحاد، وأعلن موت الرب، وبالتالي سقوط كل القيم الأخلاقية عند موت الإله ومساواة السماء بالأرض واستبعاد أي سلطة تتجاوز الإنسان، وتحقيق هذا هو القضاء على العبث والتمرد على الإله، فمقدمة نيتشه في التمرد والقضاء على العبث تكفي في إنكار الإله فتتولد العدمية ويتجرد الكون من القيم ويصبح خالي من المعنى، يقول نيتشه " لقد ماتت كل الآلهة والآن نريد يحيي الإنسان الأعلى "3.

1- عادل العوّاء، العمدة في الفلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط 1، 1986، ص 120.

2- المرجع نفسه، ص 120.

3- فريدريش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: علي مصباح منشورات الجمل كولونيا (ألمانيا)، ط 1، 2007، ص 157.

ويذكر نيتشه أن الحق ليس في الحياة في العمل على الإنسان، بل الإنسان هو من يصنع أعباءه وأثقاله ويرهق نفسه " وحتى عندما يأمر نفسه، هنا أيضا يكون عليه أن يدفع ثمن أوامره سيكون عليه أن يغدوا قاضي قوانينه الخاصة والمقتص والضحية في الآن نفسه "1.

يجد هنا الإنسان نفسه مسئول عن الأشياء المحبطة به والتي تحصل له، ويجد نفسه أنه لا يستطيع النهوض منها، ونقيد نفسه في هذا العالم ويحس بعبثية، كما يرى الإنسان أصبح هو في حد ذاته لا فائدة منه، وعلى حد تعبير نيتشه ... لقد تعبنا من الإنسان، وهذا كناية عن العدمية والكل الذي يصيبه .

وهنا نجد تعدد صور العبث لكن في نهايتها نجد أنها تمثل فشل الإنسان في فهم العلاقة بينه وبين ذاته الطموحة التي تهدف إلى الفهم والمعرفة وبين الوجود الصامت المستعصي على الفهم والإجابة " فالملاحم الأساسية للشكل العبثي تتبع من أعماق النفس الإنسانية المرتاعة أمام عجزها عن إدراك الهدف الحقيقي من وجودها " 2. وحاول نيتشه الخروج من هذا العبث وذلك بدعوته " إلى إنسان أعلى متجرد من قيم الخرافات والاستعباد ويشق طريقا جديدا بالفأس نحو الفضيلة "

"..... وقد تأثر بأفكاره النازيون والفاشيون تأثرا ملحوظا، انطلقوا يصنعون من هذه الأفكار إيديولوجيا صماء تهدف المعبد البشري الذي لا يقود إلى إنسان أعلى " 3.

وفي هذه الأفكار نجد أن كبار المغامرين للعبث كانت عظمتهم تقاس في أنهم رفضوا تساهلات العبث ولم يحتفظوا إلا بمتطلباته بل إنهم كانوا يهدمون للأكثر لا للأقل: " قال نيتشه : « الذين يريدون قلب الأمور رأسا على عقب، لا أن يخلقوا أنفسهم

1- فريدرش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 226.

2- نبيل راغب، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، المكتبة المصرية العامة للكتاب، ص 245

3- شهاب جمال، ما الإنسان المتمرد؟، بسيمنت نشرة شهرية ثقافية فنية تصدر عن مؤسسة بسيمنت الثقافية العدد الثالث، مارس، 2007، ص7.

بأنفسهم، أولئك هم أعدائي»¹. فنيتشه يقلب الأمور كلها ليعيد الخلق من جديد في إطار النزاهة مسلطاً بساطه على المتمتعين، فالمحاكمة العبثية تتخلص من الإعجاب بالذات جنبها تجد الزهد .

ولم يبق العبث مع العصر الحديث بل امتد إلى العصر المعاصر الذي تمثل في الوجودية.

رابعاً: مفهوم العبث في العصر المعاصر

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص 14.

تعددت آراء فلاسفة العصر المعاصر حول العبث وذلك من خلال تعدد الأفكار والاتجاهات، فمنهم من أرجعه إلى الصراعات القائمة مع المفاهيم الأخلاقية وفي اتجاهات أخرى في العجز عن فهم معنى الحياة والوجود، وآخرين في طرح مشكلات كالموت والحرية والصراع مع الأنظمة والقوانين والقيم الأخلاقية المعيشة، وما ينتج عنها من تساؤلات حول الوجود والمصير ونظرة الفرد للآخر ... كل هذه التعددات التي تمثل صور العبث ما هي في الحقيقة سوى فشل الإنسان في فهم نفسه وعلاقاته .

حيث نجد أهم هذه الآراء عند الفلاسفة الوجوديين الذين يجدون أن العبث هو " مشكلة وجودية، بل إن الفلسفة الوجودية تبدأ عادة من موقف يشبه موقف الغريب تماما، ذلك أن نقطة البدء عند الوجوديين هي صدمة الانفعال تهز الإنسان فجأة عندما يدرك أن الحياة لا معنى لها " ¹. نستنتج من خلال ذلك أن العبث عند الوجوديين مرتبط بالإنسان وحياته ووجوده وذلك من خلال إحساسه أنه غريب في هذا العالم الذي يعيشه، فيشعر أن حياته بلا معنى ولا فائدة ولا جدوى منها، فيتكون عنده الشعور بالعبث، فيجد أن الحياة عبث وكل ما فيها متناقض مع العقل والمنطق، لأن وجوده فيها ليس له هدف محدد، لذلك حاول الوجوديين الخروج من هذا العبث من خلال إضفاء المعنى للحياة . " وتمضي الوجودية في هذه الفكرة حتى نهايتها المريرة والمؤلمة، فإن الوجود طالما كان في نظر فلاسفة الوجودية وجود عارض فإن الحياة لا بد أن تكون من قبيل العبث أو اللامعقول، بالمعنى المنطقي لهذه الكلمة، أعني أنها غير متسقة مع الحقيقة فما دام أي شيء يمكن أن يحدث للشخص فمن العبث أن نعتقد أن للحياة غاية أو خطة أو نظام عام، فكل الحوادث التي تؤثر في حياتنا عشوائية لا يمكن التنبؤ بها، فنحن نعيش دائما على حافة هاوية من اللايقين " ².

1- محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1994، ص 61.

2 محمد مهران، محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء، القاهرة، 2004، ص 107/108

يرى الوجوديون أن الإنسان ينظر لحياته على أنها عبث ووجوده عبث بل إن حريته أيضا ينظر إليها عبث في عبث .

ولقد اهتم كيركجارد بدراسة الأزمة البشرية في الحياة العبثية، حيث أن الإنسان يشعر بالعبث حوله من لامعقولية الوجود، فيجد نفسه لا يستطيع فهم شيء هو في الحقيقة غير مفهوم وهو الوجود، لأن الوجود في حد ذاته غير مفهوم، لأنه يتميز بالتوتر والقلق خاصة عند تصور الكون بأنه عرضي تماما، بالنسبة لتجارينا المنعزلة، ويترتب عن ذلك أن الحياة عبث أو لا معقولة بالضرورة، ويكون وجود الأفراد في هذا العالم لا تحكمه أي ضرورة، فمن الممكن أن يحدث أي شيء لأي شخص مهما كان التنبؤ المستقبلي، لأن تاريخ الحياة في نظر الوجودي ما هو إلا سلسلة من الأحداث العارضة العبثية وكيركجارد يرى أنه لا وجود لحقيقة مطلقة أو قادرة أن تغير لنا بصورة واضحة عن وجود، لأنه هو في ذاته غير معقول ويستحيل علينا فهمه أو إدراكه، فالوجود لا يمكن أن يجعل الإنسان سعيدا، وأن لا جدوى من الوجود في فعل شيء ما " أما بالنسبة للشوكة التي يحس بها في قلبه فإنه يهتم بأن لا يهدأ ألمها، بالعكس إنه يوقظ الألم بالغبطة التي يشعر بها رجل يعاني من الصلب، ولكنه يغتبط به " ¹. فالإنسان يكون ماهيته بنفسه لكن بالاتصال مع الآخرين، لكن من جهة نجد أن هذا الاتصال غير ممكن، فيتولد العبث عنده في فكرة الشعور بلا معنى للوجود وأن الوجود تافه .

أما هيدغر فيرى أن العبث ناشئ من الصراع بين الوجود والعدم، حيث يجد هيدغر أنه هناك وجود زائف يفقد للإنسان شعوره بحريته ومسؤوليته عندما يخضع للآخر، فيحس بذلك أن وجوده تحول إلى همّ وعبثية ويشعر بأن لا جدوى من الحياة، يقول هيدغر "

1- نادية البنهاوي، بذور العبث في التراجيديا الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر، ص

إنهم يحيون حياة رخيصة مبتذلة قوامها التشتت الذهني، والتوزع العقلي، والانتقال من مكان إلى مكان، دون الوجود في أي مكان " ¹.

أما سارتر فقد كان له رأي أيضا في هذا فيرى أن العبث ما هو إلا نتيجة من موضوع وجود الإنسان فهو قذف في الوجود من غير علم منه، فتجده يمضي في الوجود وحيدا بدون أي سند أو عون، فيجد نفسه زائدا لا فائدة منه في هذا الوجود، يقول سارتر : " إنني أشعر بالعار لكوني ولدت أو أدهش لهذا أو أغتبط له، أو إذا حاولت انتزاع حياتي من نفسي فإنني أؤكد أنني أحياء، وأعتبر هذه الحياة سيئة .. " ²، حيث أن الإنسان لا وجود له إلا في الوجدان، فالجسم خاضع للحتمية التي يخضع لها العالم الطبيعي، وهكذا يقف الإنسان وحيدا في هذه الحياة، يأتي إليها وحيدا يعيشها أيضا وحيدا ويموت وحيدا، ليست لحياته أي معنى سوى قراراته الفردية والالتزام الشخصي، فيعتبر الفرد نفسه أنه لا شيء في نظر الكون، أما في نظر نفسه فهو كل شيء، لأن ما يقوم به شخصي ويعبر عن حياته، " إن الإنسان كما يعلن سارتر هو حياته الإنسان وجملة أفعاله ليس إلا أنه جملة تنظيم مجموعة العلاقات التي تؤلف هذه الأفعال " ³.

يجد سارتر أن المخرج من العبث في تحمل الإنسان لحرية وتحطيم ذاته، ويطلق سارتر مصطلح الغثيان على العبث الذي تجده دائما يلاحق الإنسان في كل مكان وزمان ،

يرى سارتر أن الغثيان يستولي على الفرد ولا يتركه يقول سارتر " إن الغثيان لم يتركني، ولا أحسب أنه سيتركني بهذه السرعة، ولكني لا أكابده بعد، فهو يعد مرضا ولا نوبة عارضة : إنه أنا " ⁴.

1- زكرياء إبراهيم، مشكلات فلسفية 2، (مشكلة الإنسان)، مكتبة مصر، القاهرة، ص 25/24

2- محمد مهرا ن ومحمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ص 120

3- أ.سأخاروفا، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، ترجمة : أحمد برفاوي، دار المسيرة، ط 1، 1984، ص 19

4- جان بول سارتر، الغثيان، ترجمة : سهيل إدريس، ص 177

كما أن سارتر في روايته الغثيان اكتشف حقائق الإنسان لوجوده ولا يحدث إلا في وجود الآخرين " اكتشاف الإنسان لوجوده في مقابل وجود الآخرين، وما يصاحب هذه التجربة من مخاوف، وقلق وتساؤلات، عن المعنى من الوجود الطافح بأسباب العبث"¹

حيث أن رواية الغثيان تصور حالات القلق والغثيان والدوار لبطل الرواية أنطوان روكتان، والعبث من الوجود .

والموت أيضا لدى سارتر يمدّ طابعه العبثي من واقعة عرضية، فهو يأتينا من الخارج، دون أن نستطيع فعل شيء ما، يقول سارتر " فمن العبث أن نكون قد ولدنا، ومن العبث أننا نموت، وهذه العبثية من جانب آخر تمثل نوعا من الاغتراب المستمر لإمكانية وجودي، تلك الإمكانية التي تعد بعد إمكانيتي، بل إمكانية تخص الآخرة "².

ولعل أهم وأدق دراسة للعبث كانت لألبير كامو، حيث أنهم أطلقوا عليه اسم فيلسوف العبث، فكل أبحاثه ورواياته ودراساته كانت على العبث ومحاولة الخروج منه، إذ حاول بذلك معرفة حقيقة العالم الزائف الذي نعيشه .

وفي الأخير نستنتج أن ألبير كامو كان من أكثر الفلاسفة فهما اللامعقول وكانت ظروفه دافعا قويا لظهور هذه الفكر عنده، ولقد كان الأساطير اليونان هذه أثر كبير في فلسفة خاصة أسطورة سيزيف .

1- حمزة وشان، صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

العربي، (29) إشراف عبد القادر توزان، 2015/2014، ص 184

2- حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، ص 44



الفصل الثاني :

العبث و كامو

- تمهيد :
- المبحث الأول : حقيقة العبث عند كامو
 - ✓ أولا : مفهوم العبث عند كامو
 - ✓ ثانيا : طبيعة العبث
 - ✓ ثالثا : العبث في روايات كامو
- المبحث الثاني : مرحلة ظهور التمرد
 - ✓ أولا : الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث
 - ✓ ثانيا : الفن والعبث
 - ✓ ثالثا : من العبث إلى التمرد

الفصل الثاني : العبث و كامو

تمهيد :

ألبير كامو من أهم الفلاسفة الذين ساهموا في إعطاء فكر جديد في الطابع الروائي والقصصي .

كامو " روائي وفيلسوف فرنسي 1913 . 1960، ولد ونشأ في الجزائر، انتمى إلى الحزب الشيوعي عام 1935، ولكنه تركه بعد سنة واشتهر قوله إنني لا أؤمن بالله، لكنني لست ملحداً، كما ذاع في الآفاق مفهومه عن العبث، أي عن عالم يغيب عنه الله والاعتقاد بالخلود لم يكن كامو فيلسوف بالمعنى المذهبي، ولكن فلسفته أيضاً لم تشخ، لأنها كانت عبارة عن صيرورة متصلة وعن عناق لتجربة الحياة " ¹.

أبوه فرنسي مات بعد مولده بعام واحد، أما أمه إسبانية في قرية تدعى "موند في"، عمل أبوه مزارعاً في هاته القرية، قبل أن يكون ضحية للحرب العالمية، فلم يكن لأم كامو حلاً سوى الخروج والعمل، وانتقلت للعيش في شقة تحتوي على غرفتين في ليون مدينة الجزائر " حيث راحت تكسب قوت العائلة بعملها كخادمة تنظيف، وترعرع الطفلان بإشراف جدة لهما، شديدة التسلط لا يحبانها " ².

عاش كامو حياة فقيرة مليئة بالحنن والألم والظلام، ورغم ذلك لم يفقد حبه للحياة، فهو لم ير والده وكذا أمه المريضة الصماء معوقة النطق، لكن إعاقتها لم تمنعها من توفير لقمة العيش لأبنائها فعملت خادمة لترعرع طفلها، وبعد أن كبر كامو وتوفيت جدته لم يجد عملاً يكفي لإعالة أمه، مما دفعه الفقر لوضع أمه في مأوى العجزة، لم يكن يريد لذلك أن يحدث لكن الحياة الفقيرة دفعته لذلك ووضع المادي، فرأى أنه لا يمكنه الاعتناء بها، ولم يكن قادراً على تلبية حاجياتها، أم وجود من يرعاها .

1 - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، ص 512.

2 - جرمين بري، ألبير كامو، تر: جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، 1967، ص 25.

كان كامو يتعاطف مع الفقراء والمسلمين، أما من ناحية الجهل والتخلف والجوع فكان دائما يعمد إلى فضحهم، ويبعث إلى المقارنة بين أبناء شعبه والأوروبيين .

عمل كامو في صحيفة " الجزائر الجمهورية " التي كانت ضد السياسة الفرنسية في الجزائر مطالبا بالعمل والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين المستوطنين " فكان لكامي الفضل في تنبيه الغافلين في فرنسا إلى الجريمة الكبرى التي يرتكبها أبناؤهم الطغاة في الجزائر، فكان هو نفسه من أوائل الفرنسيين الذين تنبتهت ضمائرهم إلى جرائم الاستعمار الفرنسي " ¹، حيث ظهر جليا وقوف كامو إلى جنب الفقراء حين نشر مقالاته حول سكان القبائل، وصف فيها الوضع المزري والمعاملة السيئة للمعمرين إضافة إلى لا مبالاة الاستعمار، وجد كامو الفقر عاملا أساسيا في تحديد فكره، هذا الفكر الذي سنأتي إلى تحليله من خلال مؤلفاته المختلفة التي خلفها، وأثره في الشعور بالعبث من خلال أبطال رواياته، وكما عبر عنه في فلسفته، فحياته الفقيرة كانت مصدرا يستعان بها، بالإضافة إلى حياته الفقيرة، كان له شيء آخر وهو مرضه الذي كان يهدد حياته، " كان عمر كامو سبعة عشر سنة إلى أن بلغ ثلاثين سنة، أي خلال ثلاثة عشر سنة، تلقى كامو خلالها ليس أقل من ثلاث نوبات حادة من مرض السل لتقعده عن الدراسة أو ممارسة أي نشاط يذكر " ².

كان كامو يترقب الموت ويحيا في فزع شديد، وقضى شبابه يصارع الموت، ولا شك أن المرض كان أحد العوامل الأساسية في تحديد وتوجيه فكره " أنه المرض الذي أصابه في الزمن الغابر والذي لازمه طويلا، والذي يعني بالنسبة له التهديد بالموت فقد كان له التأثير المباشر في تحديد فلسفته، ثم أن حب الحياة بشغف كبير، وانتزاعها منه بدون

1 - ديفيد زين ميروفيتش، وآلن كوركوس، أقدم لك...كامو، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 6.

2- عبد القادر توزان، الشعور بالاعتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو، أطروحة دكتوراه، إشراف الطاهر حجار، جامعة الجزائر، ص 139.

سبب، هي إحدى الأسباب الأولية المعبرة عن العبث " ¹، عانى كامو كثيرا من هذا المرض لكنه لم يفقده رغبته في الحياة .

أما من الناحية الفلسفية فقد استند إلى أستاذه جون جورنييه، حيث تعلم على يده وكان له فضل كبير على فكره وفلسفته ومصدر من مصادر فكره وتأثره بالفلسفة اليونانية رسالة التبريز، الأفلاطونية الجديدة والفكر المسيحي وتأثره بالفلسفة الحديثة وخاصة نيتشه.

وبحكم أنه عاش في الجزائر فقد كانت له ثقافة جزائرية بالإضافة إلى الثقافة الفرنسية، فقد تأثر بالطبيعة الجزائرية ونجده قد تحدث عنها في مؤلفاته، فحياة ألبير كامو وكتابات كانت وجهان لحقيقة واحدة، ومن أهم مؤلفات كامو : وقائع 1935، رواية الغريب 1942، أسطورة سيزيف 1942، مسرحية كاليغولا وسوء تفاهم 1945، رواية الطاعون 1947، الإنسان المتمرد 1951، المقصلة 1957.....

في الرابع من كانون الثاني عام 1960 توفي ألبير كامو، وقد بلغ من العمر 36 سنة، ولم يكن قد مر ثلاث سنوات على فوزه بجائزة نوبل للأدب 1957، وكانت وفاته في اصطدام السيارة بشجرة كبيرة كان يقودها صديقه الناشر غاليميار بسرعة كبيرة فرغم خوفه من الموت وانتظاره في أي لحظة بسبب مرضه إلا أن مرضه لم يكن السبب في موته فحادث السيارة هو من أودى بحياته في الحين " فيلسوف العبث رحل بشكل عبثي، إذ وجد في جيب سترته تذكرة سفر بالقطار مما يدل على أنه كان ينوي السفر بالقطار إلا أنه في آخر اللحظة على ما يبدو غير قراره ليسافر بالسيارة، إنها عبثية العالم الذي كتب عنه هذا الفيلسوف إذن " ².

ومؤلفات العبث الذي كانت لكامو، كان قد استمد إرهاباتها من الفلسفة اليونانية وتحديدا من الأفلاطونية الجديدة والفكر المسيحي، أما في الفلسفة الحديثة فقد كان متأثرا

1- عبد القادر توزان، الشعور بالاعتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو، ص 141

2- عز الدين بوركة، ألبير كامو فيلسوف العبثية واللامعقول بامتياز : الغريب وسوء النقاوم وكاليغولا

بشوبنهاور وخاصة نيتشه الذي كانت فكرته حول موت الإله كان لها صدى كبير لكامو وقام عدة نظريات للعبث من خلالها، وأيضا في العدمية ومسألة الخلق لنيتشه، ولا ننسى سارتر الذي كان صديقه وفي نفس الوقت كانت أفكارهما تتشابه لكن ما لبث حتى انتهى كل شيء بينهما سواء في الصداقة أو الفلسفة وذلك بعد أن أصدر كامو كتابه الإنسان المتمرّد مما أغضب سارتر وقام بقطع صلته به، كما لا ننسى كيركغارد وهيدغر، ومن خلال هذا نجد أن فكر كامو كان من بداية الفلسفة اليونانية (أسطورة سيزيف) حتى الوجوديون، فأخذ منهم ما صنع فلسفته بالإضافة إلى حياته ...

المبحث الأول : حقيقة العبث عند كامو

أولاً : مفهوم العبث عند كامو

لم يظهر العبث لدى كامو من خلال قراءاته ودراساته، بل كان نتيجة للحياة التي عاشها، فهو يمثل نموذجاً لفلسفة العبث والتمرد، حيث كانت حياته عبثية من بداية طفولته، تيمم وهو صغير والفقر والاعتراب بالإضافة إلى المرض وكل أنواع الألم والشقاء التي زرعت فيه بالشعور بلا معنى الحياة، حيث أنه كان يدعو دائماً إلى التمسك بالحياة رغم عبثيتها .

فالشعور بالعبث عند كامو يصادف الإنسان فجأة، وعندما يصادفه يحس الإنسان بعدائية هذا العالم، فيرى كامو أن الواقع مليء بالعبث والملل والكآبة فالعبث لدى كامو متواجد في الحياة في كل زمان ومكان، والإنسان معرض له لأنه يعيش في هذا العالم، لذا لا بد له أن يكون مدركاً لهذا العبث حتى يستطيع التصدي له، ومنه نجد أن العبث " هو شعور يصادف الإنسان فجأة في حياته، وهو ناجم عن موقف الإنسان من لاعقلانية الوجود والوعي _ الذي هو رغبة مجنونة في الوضوح _ شرط أساسي يظل مقابلاً للاعقلانية الوجود، وبمقابلتهما يتواجد العبث، إن مقابلة اللاعقلاني مع الحنين البشري والعبث الناجم عنهما، ثلاثة أبطال المأساة " ¹، نجد من خلال هذا أن العبث عند كامو ما هو إلا فقدان الأمل في الخلاص، ويصل إلى نتيجة هي أن حياة الإنسان والمجتمع فاقدة المعنى بشكل دائم، يقول كامو " لو كنت شجرة بين الشجرات، لو كنت حيوان بين الحيوانات، لكان لهذه الحياة معنى أو لم تطرح هذه المشكلة على الأقل، لأنني إذ ذاك سأكون جزء من هذا العالم، بل لكنت هذا العالم الذي أناقضه الآن مع وعي الكامل، مع متطلباتي في الاجتماع مع البشر " ²، يتمنى هذا كامو أن لم يكن متواجداً في هذا العالم بصفة بشر بل لو كان فيها شجرة أو حيوان، لكان لحياته معنى غير حياته الإنسانية التي

1- عبد القادر توزان، الشعور بالاعتراب عند أبي العلاء المعري و ألبير كامو، ص 198.

2- أ . ساخاروفا، من فلسفة الوجود إلى البنيوية، ص 37.

ليس لها معنى، فبوجوده بصفة غير البشرية كان ليكون جزء من العالم أو لكان هو العالم الذي يرفضه، فالعبث ليس مجرد موقف فكري، وإنما موقف متبرم من هذا العالم، فالإنسان العبثي يعاني من الانفصال بينه وبين العالم، فهو غير متناغم مع عالمه، ويحي داخل تناقضات وجود متهتك، ويتطلع إلى وجود أكثر يقينا وبحلم بعالم أشد تماسكا، يرى كامو أن العبث يكون حين يشعر الإنسان أنه غريب في هذا العالم، وهو منفى ميئوس منه، ما دام هذا الإنسان محروم من ذكريات فترة غير، أو من الأمل في أرض موعودة، فيشكل هذا الانفصال الناتج بين الإنسان وحياته شعورا بالعبثية .

فالشعور هنا بالعبث وأن الحياة تتسم بالملل والروتين والأعمال المتكررة كل يوم، " نهوض، تزام، أربع ساعات في المكتب، غداء، تزام، أربع ساعات عمل، عشاء، نوم، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، والسبت، على النمط نفسه، ونفس الطريق ... كل يوم وراحة معظم الوقت " ¹، وهكذا تمر الأيام ويتخذ الإنسان اللامبالاة من هذه الحركات الآلية من خلال التكرار كل يوم أسبوع بعد أسبوع عام بعد عام، ...

وخير مثال على التجربة العبثية للإنسان أسطورة سيزيف، وهي ما يوضح بها كامو فلسفته العبثية، فليس هناك ما هو أتعس عقاب من العمل يقوم به الإنسان لكن دون جدوى ودون أمل فسيزيف الذي حكمت عليه الآلهة بحمل صخرة كبيرة على كتفه من أسفل جبل كبير والصعود بها إلى قمة الجبل وعندما يحملها ويحاول وضعها على سطح الجبل ما تلبث حتى تسقط مرة أخرى لسفح الجبل، فيعيد حملها من جديد والصعود بها لتعيد السقوط مرة ثانية وهكذا ... وهذا يعود إلى لعنة الآلهة التي اتهمته بسرقة أسرارها وتكبير آلهة الموت ... وغيرها من الاتهامات بينما سيزيف كان يعتبرها ظالمة، وسيزيف رغم معرفته بهذا العذاب والمعاناة إلا أنه لم يفقد الأمل ولم يستسلم لهذا الوضع، يقول

1- جون كروكشانك، ألبير كامو وأدب التمرد، تر : جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 15

كامو " وحين تتشبث صور الأرض بشدة بالذاكرة، وحين يشتد إلحاح نداء السعادة، يحدث أن السوداوية تتبثق في قلب الإنسان، وهذا هو انتصار الصخرة، هذه هي الصخرة ذاتها¹. فسيزيف من خلال إدراكه للحياة إلا أنه تشبث بها من أجل الوصول إلى السعادة ولأنه استوعب العبث الذي هو فيه، وبالتالي فكامو اعتبر أن سيزيف بطلاً وأفضل مثال لتجسيد فكرة العبث .

أما من ناحية الرؤية العبثية للزمن فكامو هنا لا يهتم بالمستقبل ولا يعلق عليه آمال طالما أن هناك موت ينتظر الإنسان كما لا يهتمه النظر إلى الماضي لأن الماضي قد فات بل ما يهتمه هو الحاضر لأنه هو الذي يحياه الإنسان يقول كامو " وهكذا وخلال كل يوم من أيام الحياة العادية، يحملنا الزمن ولكن يأتي لحظة يكون علينا أن نحمل الزمن فيها، إننا نعيش على المستقبل : غدا _ بعد ذلك _ حين تكون قد بدأت، _ ستفهم حين تكبر _ ومثل هذه الأمور رائعة لأننا على كل حال، نجد أن المسألة هي مسألة موت "². هنا يشعر الإنسان بعبثية الزمن وذلك من خلال غرابة العالم الذي يعيشه على رغم من أنه مألوف، فعلى الرغم من أنه يعرف الطبيعة ويدرك مكوناته إلا أنه يعجز عن فهم أسرارها، خاصة في مواجهته للموت، فيدرك حينئذ الفجوة بينه وبين حقيقة الكون، وبالتالي يرى أن لا مجال لمعرفة العالم .

يتولد العبث عند كامو من عدم القدرة على تفسير الحياة، حيث يشعر الإنسان أنه قذف في هذا العالم الغريب عنه، هذا العالم المدمر الذي يسعى إلى إبادة البشر وكل رغباتهم في الأمن والسلم " وتزرع بذور الرعب في حياته فيصعب على الإنسان فهم هذا العالم أو استيعاب قيمه وأخلاقه، ويكتشف العقل أكثر فأكثر كثافة العالم أو استحالة تحويله إلى شفافية يمكن إدراكها أو فهمها "³.

1- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، تر : أنيس زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص 141.

2- المرجع نفسه، ص 22

3- سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 75 .

هنا يشعر الإنسان مدى عبثية العالم وعجزه عن فهمه وإدراك حقائقه رغم محاولاتها، فيحس بذلك الفرد أن وجوده لا فائدة منه ولا جدوى منه، ومدى سخف الحياة وسلبيتها، غير أن العبث لا يقتصر على هذا بل أيضا عبثية القدر مع الإنسان فيجد نفسه خاضعا له مسلما لأمره دون رغبة منه، حيث أن الإنسان العبثي يحمل عبثه رغم انعدام الأمل والخلص، إلا أنه يتطلع للسعادة رغم معرفته لما سيواجهه، بل يسعى ليتحدى قدره العبثي، ونجد سيزيف في محاولاته .

أما من ناحية أخرى نجد أن الألم يولد أيضا العبث، فالقدر ينتج الألم والتعاسة ولا يجد الإنسان مفر منه . ويسمى الألم العبثي، وقد صوره لنا كامو بالمرض الذي يفتك بالبشر، والقدر هو من يسبب العذاب والألم والمعاناة للإنسان .

إن العبث لا ينشأ من الإنسان ولا من العالم، إنما ينشأ من مواجهتهما، فالعبث يتولد من التقابل بين رغبة الوعي في الفهم والوضوح، وبين هذا العالم المستعصي على الفهم، كما أن العبث ينتج من خلال الصدمة التي تأتي للوعي عندما يفاجأ بأنه لا وجود للأمل في المستقبل، فتتلاشى رغبته في الفهم والوضوح، فالعبث هو من يفصح على عجز العقل عن إدراك الوجود .

نجد أن العبث يمثل صراع بين قطبين متناقضين وهما : الروح الإنسانية والعالم، فالإنسان يسعى جاهدا لكشف أسرار هذا الكون ومحاولة حل لغزها، لكن من جهة أخرى نجد أن هذا العالم مغلق يأبى الحل، وهذا ما يدفع الإنسان إلى طرح عدة تساؤلات حول حياته ووجوده، ما هي الحياة ؟ وهل الحياة التي يعيشها لها معنى ؟ ولماذا نعيشها ؟ وما هو مصيرنا ؟ ... أسئلة كثيرة تتبادر في ذهن الإنسان تدفعه للحيرة والقلق والاضطراب من المستقبل ومن الموت في حد ذاته، وبالتالي يحس بعبثية الحياة .

ثانياً : طبيعة العبث

كما ذكرنا سابقا أن العبث عند كامو هو انعدام التوافق أو الانسجام بين حاجة
الذهن إلى الترابط المنطقي وبين انعدام المنطق في تركيب العالم، الأمر الذي يكابده
الذهن وبعانيه، وهذا ما عالجه في أسطورة سيزيف والروايات الأخرى .

ولقد أطلق على كامو اسم فيلسوف العبث من طرف النقاد والقراء، لكن كامو يقول
أنه في كتاباته هاته لا ينشئ فلسفة العبث وإنما يصف الإحساس بالعبث، وذكره جليا في
أسطورة سيزيف حين قال " ... وأرجوا أن يكون ذلك واضحا للقراء كما هو واضح لي،
تكمن في التأمل، البارد حيناً، الملهب حيناً آخر، الذي قد يغرق فيه الفنان لبحث أسبابه
في العيش والخلق " ¹. وعلى الرغم من تصريحاته أن موقفه تجاه العبث ما هو إلا موقف
مؤقت، إلا أن ذلك لم يجدي نفعا مع القراء بل أكملوا مسيرتهم في تطابقات آراء كامو
المتباينة، والمتناقضة في بعض الأحيان، ولا يزال يصفونه بفيلسوف العبث، هذا اللقب لم
يعجب كامو ولم يعطه اهتمام بل صرح برفضه في كتابة مقال عام 1950 حين قال أن
الكاتب في كتاباته هو في أغلب الأحيان كتب ما يعترضه من غواية ويحس به من
حنين، أما من جهته هو فيقر أن العبث كان له أثر الغواية في جانب من جوانب نفسه،
فأسطورة سيزيف كانت الأولى في دراسته للمنطق والتبرير العقلي للإحساس بالعبث .

لقد وجه كامو انتقادات لمحاولة بعض المفكرين لكتب الإحساس بالعبث، من خلال
نبد العقل وتنمية الأشكال الخاصة التي يضعها كامو من الأشكال المنافية للعقل، لأن همّ
كامو أن يقف على سبيل للحياة يقبل بوجود العبث بدلا من أن يحجبه وراء ستار
العقلانية أو انعدام العقل .

أما من ناحية أخرى يرى كامو الانتحار هو وليد الإحساس بالعبث، لأن الانتحار
بطبيعة الحال ينطوي على الاعتراف بوجود عبث في الحياة وفي جميع المستويات

1- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص 8.

ومعرفة الإنسان بالعبث معرفة عقلية قلما تؤدي إلى هذه النتيجة أي أن الانتحار يكون عندما يحس الإنسان بالعبث، فعندما يدرك بوجود عبث يتبادر إلى ذهنه فكرة الانتحار لكن عند استخدام العقل وتحليل العبث تحليلا عقليا فذلك يقلل من هاته الفكرة " كما أن كامو نفسه قد أوضح أن شوبنهاور على سبيل المثال، بالرغم من كثرة ما كتبه حول افتقار الحياة إلى المعنى، وما وضعه من نظريات حول الانتحار، لم يتطرق في وضع نظرياته موضع التنفيذ إلى الحد الذي يقدم فيه على الانتحار "1. نجد من خلال ذلك أن معرفة العبث معرفة عقلية قد تؤدي بشكل نسبي إلى الانتحار، لكن هذا غير مؤكد، فشوبنهاور أكبر مثال، فهو لم يقدم بعملية الانتحار .

إن طبيعة العبث عند كامو تستلزم دراسة تطابق المضمون مع التجربة الإنسانية، لتوضيح مدى قصور العقل في استيعاب التجربة فهو يشير إلى أن معرفة العبث قد تؤدي إلى القضاء على العقل عن طريق الانتحار الذهني، الذي سماه كامو فيما بعد بالانتحار الفلسفي، ومن خلال هذا نستطيع تحديد ثلاثة أفكار رئيسية ذكرها كامو " العبث، الانتحار الجسدي، الانتحار الفلسفي، وقد يكون العبث دافعا سواء لتحطيم الذات (عن طريق الانتحار الجسدي) أو للمحافظة على الذات (عن طريق الانتحار الفلسفي) " 2، ومن هنا نجد أن كامو نفسه يحاول الإجابة على هاته الأسئلة : ما هي طبيعة العبث ؟ هل يبرر العبث الانتحار الفلسفي ؟ هل يعد العبث مبررا للانتحار الجسدي ؟

إن فكرة العبث تاريخية وتبدو من الأشكال المناقضة للمذهب العقلي بدرجة حادة، وعند كامو العبث يتخذ طابعا غير قابل للتعديل، والعقل قاصر، فالعبث هو انعدام التوافق بين الفرد والعالم، ويصرح قائلا بأن العبث لا يخضع لمقاييس العقل على الإطلاق، فوعي الإنسان يميزه عن بقية العالم فيجد أن العالم غير قابل للفهم، فدراسة كامو للعبث تعتبر تجربة عاطفية واسعة الانتشار، وقد يشعر بها الناس الذين لم يصلوا إلى فهم العقل

1- جون كروكشانك، ألبير كامو وأدب التمرد، ص 85.

2- المرجع نفسه، ص 87.

المجرد، فيوضح بذلك أن طبيعة العبث ما هو إلا تجربة يشعر بها الفرد أولاً، ثم بعد ذلك يصوغها في قالب الذهبي الخالص، وأسطورة سيزيف ما هي انعكاس يجسد طبيعة العبث وذلك من خلال التجربة العاطفية، ثم بعد ذلك يتطرق إلى مناقشة على أنه موقف العقل اتجاه هذا العالم .

فالإحساس بالعبث يكمن عند كامو من خلال طبيعة الحياة الآلية للإنسان، والروتين اليومي للحياة، مما يدعو إلى التساؤل حول الوجود والهدف من هذا الوجود مما يولد الشعور بعبثية الوجود، " النهوض، الباص، أربع ساعات في الدائرة أو المصنع، وجبة الطعام، الباص أربع ساعات من العمل، وجبة الطعام، النوم، والاثنتين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت، طبقاً للنسق نفسه، من الممكن السير في هذه الطريق بسهولة دائماً " ¹.

هذا الطابع الممل الذي تتسم به الحياة اليومية والتكرار، وهو صورة سيزيف الذي كان يعمل نفس العمل كل يوم، كما ينتج الإحساس بالعبث من خلال الانعزال في هذا العالم المغترب، وبأنه وجد في هذا العالم بمحض الصدفة وبدون سبب معقول، والانعزال عن غيره من البشر، والإحساس بالقلق الغامض الذي يصدر أحياناً من الصفة اللإنسانية وكما يحدث عند مشاهدة شخص ما يتحدث في الهاتف وبينكما جدار زجاجي يفصلكما، فأنت تراه يتحدث لكنك لا تفهم ما يقوله، فينتج العبث من الشخص الملاحظ لا الشخص المتحدث، فيشعر بعبثية الموقف وعدم قدرته على فهمه " رجل يتحدث في التليفون وراء حاجز زجاجي، لا يمكنك سماعه، ولكنك ترى عرضه الأبهى غير المفهوم وتتعجب لماذا هو حي " ²، والحاجز الذي بين المتحدث والملاحظ هو سور عبثي هكذا سيسميه الملاحظ.

1- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص 21.

2- ديفيد شيرمان، ألبير كامو، تر : عزة مازن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2011، ص 50.

طبيعة العبث عند كامو تجسدت في أسطورة سيزيف، أي من خلال تجربة الإنسان التي يمر بها في كل يوم ويكون ذلك من خلال وعيه وإدراكه، وكذا الزمن فهو عامل آخر يشعر الإنسان من لا جدوى حياته، فمرور الزمن يجعل من حياة المرء تنتهي، لأن الموت سينال منه ومن وجوده ومن حياته .

وكما جسد لنا العبث في أسطورة سيزيف فإنه أيضا جسده لنا أو جسد لنا فكرة المحال في رواية الطاعون وأخذ شخصية ريو الطبيب كنموذج عن سيزيف، فريو رغم انتشار مرض الوباء ظل يكافح في ظل المحال ولم يفقد الأمل ولم ييأس، بل وقف في وجهه وحاول التصدي له وصبر أمامه، فنجد أن ريو مثل سيزيف بطل من أبطال المحال، اكتشف أن طبيعة هذا العبث هو المرض ذاته، فمارس مهنته بتحد وعزيمة وإصرار أمامه دون كلل أو ملل رغم معرفته أن لا مجال للقضاء عليه " إن الدكتور ريو الذي يروي لنا تاريخ هذه المدينة البائسة هو صورة سيزيف الحديثة، إنه يحتج على الخلق، ويعرف أن الوجود لا معنى له، لكنه لا يخطب ولا يعرض ولا يدعي فلسفة عميقة، إنه يحارب الوجود كما هو عليه، ويعتقد أنه بذلك يسير على الطريق الموصل إلى الحقيقة ... إنه كسلفه سيزيف الصابر العنيد، ... ولا يطمح الشيء آخر أكثر من أن يباشر مهنته في أمانه " ¹.

إن كامو في إعطائه أكثر من معنى واحد لكلمة العبث، كأنه قد قام بومضة الإيمان الخاصة به، متخذا من العبث نقطة ارتكاز وانطلاقه لبناء طبيعة العبث الناتج عن التناقضات والشعور باللاجدوى، فقد عاش وهو واع بالعبث حيث يؤكد على أكثر من موقف تجاه العبث باعتباره موقفا عمليا يقوم على أساس من الاختيار المادي .

وبالتالي فالعبث ما هو إلا نقطة بداية لكنه لا يمكن أن يكون هدفا، فكامو في أسطورة سيزيف يصرح أن طبيعة العبث كان هدفه البحث عن منهج لا على مذهب، فقد كان يمارس الشك المنهجي، وكان يبحث عن اللوحة البيضاء التي يشرع الفرد في البناء

1- عبد الغفار مكاي، البلد البعيد، العربي للطباعة والنشر، القاهرة، يناير 1967، ص 242.

عليها، فالإنسان العبثي يفكر تفكيراً آخر كبطل الأسطورة سيزيف يقاوم العقوبة بل ويتحدى الآلهة، لكن من جهة أخرى كان له حبا للأرض وإخلاص للحياة، فالعبثية ما هي إلا جزء من مسار إنسان باحث عن نفسه .

ثالثاً : العبث في روايات كامو

استخدم كامو فلسفة العبث كسمة أدبية في رواية الغريب والطاعون أو في مؤلفاته الفلسفية في أسطورة سيزيف، والمسرحية كاليجوالا وسوء التفاهم، وتظهر مقولة العبث كأساس للأخلاق الكاموية، وقد جسد ذلك في رواية الغريب عام 1942 حيث كانت الرواية قصة ألم ولا مبالاة وكان بطلها مورسو العبثي، حيث يصور لنا كامو قصة هذا البطل مورسو، فالعبث حقيقة متأصلة في الشرط الوجودي الإنساني البشري .

تقوم حكاية مورسو العبثي على أنه عاش حياة لا مبالى فيها بما يدل حوله ولا يفكر في شيء " اليوم ماتت أمي، أو لعلها ماتت أمس، لست أدري، وصلتني برقية من المأوى : «الأم توفيت، الدفن غدا، احتراماتنا»، وهذا لا يعني شيئاً ربما حدث الأمر أمس " ¹.

لشدة عدم مبالاة فهو لم يكثر لموت أمه، والذي أدى به إلى الحكم بالإعدام، ليس من أجل قتله الأعرابي، وإنما للمبالاة لوفاة أمه، ولم تتوقف سلوكياته العبثية في عدم معرفته لموعد وفاة والدته بل إنه في كتاب الغريب يسرد كيف أنه في الليلة التي قضاها مع جثمان أمه لم ينتابه الشعور بالحزن والألم، بل كان تفكيره يدور حول الغرفة والإنارة، وحتى أنه أخرج سيجارة ودخن وقام بشرب الحليب هنا يظهر لنا عدم مبالاته " مورسو العبثي، الغير مكترث الذي سينتهي بالحكم عليه بالإعدام " ²، كما تتواصل عبثية حين يظن عند قتله للرجل أنه سيدخل السجن لأيام فقط ويخرج، لكن في الحقيقة عكس ذلك ليحكم عليه بالإعدام، ويرفض مواجهة القس ومقابلته حيث يقول " للمرة الثالثة أرفض القس، ليس لدي ما أقوله له، ليست لي رغبة في الكلام، قريباً سأراه بما يكفي نجد أن عبثية تجلت في رفضه لمقابلة القس حول الخلاص مما يجعل القس ييأس منه، ويجد البطل مورسو أن خلاصه هو الموت وهو محرره من عبث ولا معقولية الحياة، لكن

1- ألبير كامو، الغريب، تر: محمد آيت حنا، منشورات الجمل، بغداد (بيروت)، ط 1، 2014، ص 7.

2- عز الدين بوركة، ألبير كامو فيلسوف العبثية واللامعقول بامتياز، مجلة (Re)، مجلة ثقافية إلكترونية باللغتين الكرديّة والعربيّة، الموقع : WWW: remagazineCOM.

الخلاص في قصة الغريب لا يعني الانتحار فكامو يرفض الانتحار وتنتهي القصة أن البطل مورسو قبل ليلة من إعدامه بأن يتمنى ويحس بالحرية ويستمتع بلحظات حياته الأخيرة " بقي لي أن أتمنى شيئاً واحداً، أن يحضر إعدامي جمع غفير، وأن يستقبلوني بصرخات حقد " ¹.

أما أسطورة سيزيف، فكما ذكرنا سابقاً كانت تهدف إلى حل مشكلة الانتحار، وكان مشروع هذه الأسطورة، هل للحياة معنى ؟

" حكمت الآلهة على سيزيف بأن يرفع صخرة بلا انقطاع إلى قمة الجبل، حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية، لقد ظنوا لسبب معقول أنه ليس هناك عقاب أشجع من العمل التافه الذي لا أمل فيه " ².

في هاته الأسطورة يصرح كامو على فلسفته العبثية، ويدافع عنها، وكان سيزيف البطل حيث يروي هنا كامو العقوبة التي فرضتها عليه الآلهة برفع الصخرة للجبل وكان ذلك عقابه حين كشفت الآلهة أنه استحق بها وقام بإفشاء أسرارها على البشر، فسيزيف هنا يمثل الإنسان الصمود الذي يتحدى شقاؤه في هذا الوجود، وهذا ما يؤدي إلى عذابه باستمرار من خلال قيامه بهذا العمل الغير نافع، فلماذا هنا يقوم بهذا العمل اللامجدي في حياته إن كان وجوده في هذا العالم ينتهي بالموت ؟

نجد تفسير كامو حول هذا أن هذا الوجود عبث فالإنسان قذف به في هذا العالم العبثي ليحي حياة عبثية لا يعرف منها شيء ولا يدركها " لقد ألقى بالإنسان في هذا الوجود دون أن يستشار، فحالته هي حالة سيزيف الذي يعاني الرقابة والملل دون أي غاية " ³.

1- ألبير كامو، الغريب، ص 141.

2- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص 138.

3- برباج عمر، مقال ألبير كامو من العبث إلى التمرد، ص 307.

كانت أعمال كامو كلها تدور حول العبثية وكما جرى فيما قبل فإنه تجسد أيضا في مسرحية كاليجوالا وسوء تفاهم، كاليجوالا أحد القياصرة الإثني عشر، اعترف بالموت وأن الناس يموتون وهم ليسوا سعداء في هذه الحياة، وكان اعترافه من خلال المحال الذي تعرض له عندما ماتت أخته وعشيقته درسيلا، فكانت بداية لظهور كاليجوالا كبطل المحال " وإذ كان المحال موجودا إذ كان هذا العالم لا أهمية له، كما يقول ففي بدء _ بوصفه إمبراطورا _ أن يسير بهذا المنطق إلى أي مدى يشاء، فإذا كان الكون لا معقولا، فسوف يسير إذن مع الحرية المطلقة حتى يجعل اللامعقول يسود مملكته " ¹.

اعتبر كامو أن أفضل شخصية تمثل هاته القصة هو كاليجوالا ووضعه كبطل لمسرحية كان كاليجوالا هو من يشرع القوانين لمملكته ويحرقها ويبدل فيها ويتصرف فيها كما يشاء، دون معارضة له لأنه عرف بطاغيته وجبروته، كل هذا كان من أجل الوصول أو البحث عن المستحيل كان ذلك بسبب موت شقيقته التي كان ينوي الزواج بها ". هنا نجد أن حادث موت أنكيديو وصديق جلامش وعشيقه في آن واحد يشابه أشد الشبه موت دروزيلا شقيقة كاليجوالا الذي أعلن عزمه على الزواج منها، على الرغم من أن هذا الحب كان مخالفا لناموس الآلهة " ²، هنا أسطورة كاليجوالا تشبه لحد كبير قصة جلامش وصديقه أنكيديو الذي كان متعلق به أشد التعلق مثله مثل كاليجوالا وعشقه لأخته، وعند وفاتهما كان صفة قوية لهما فجلجامش عند وفاة أنكيديو " من أجل أنكيديو، خله صديقه، بكى جلامش بكاء مرا وهام على وجهه في البراري، وصار ينادي نفسه : إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيديو ؟ ملك الحزن والأسى روجي ... " ³، حب الاثنين كان مخالفا لقوانين الآلهة وكان عبثي .

1- ديفيد زين ميروفنتس و آلن كوركوس، أقدم لك كامو، ص 84.

2- ألبير كامو، كاليجوالا، تر : يوسف إبراهيم الجهماني، 1938، ص 10.

3- طه باقر، ملحمة كلجامش، ص 74.

كاليجوالا الطاغية أو بعبارة أخرى مثلما سماه كامو البطل الذي تحدى الآلهة وقلل من شأنها ورأى نفسه أنه يستطيع مساواتها، حيث كان منافسا لها، كان يمتلك الصفتين الحميدة والسيئة مع بعض، كان شريرا وفي نفس الوقت طيب، غاضب ووديع، كان يتساءل ما إذا كان بإمكانه حل اللغز وهو : " كيف يجب أن يكون الإنسان؟ هل يكون عبدا لسيدته، أم عبدا لقناعاته الذاتية؟ أظن أن العبودية قائمة في كلا الحالتين، لكن العبودية قائمة في كلا الحالتين، لكن العبودية في الحالة الثانية تعادل مأثرة تسمى الحرية"¹.

أراد كاليجوالا أن يمكس بالقمر ليثبت أن ما من شيء يستطيع الوقوف في وجهه لكن كاليجوالا كان يعي أن مصير الحياة هو الموت وأن لا مفر منه فسيأتيه عاجلا أم آجلا وبعد موت عشيقته بإدراكه لهاته الحقيقيتين أصبحت لا تهمة الحياة، وصار القتل هوائته، وأصبح لا فرق عنده بين ما هو سيء وجيد، وبين الخير والشر وتعدى بذلك الحدود إلى قتل القريب والبعيد، بل حتى إنه صارت لديه رغبة في إعدام الحريات، وليس الجسد فقط بل الروح أيضا .

لينتهي الأمر بكاليجوالا بقتله وكتم أنفاسه من خلال طعنه بالخناجر رغم علمه لهاته المؤامرة المحاكاة في ظهره، كان العبث الذي يصوره كامو ما هو إلا كاليجوالا في فهمه للعالم ومحاولة حله لمغزى الحياة، كل أعمال كامو كانت تجسد العبث وكان سوء تفاهم أيضا من المسرحيات التي جسدت العبث وقد كان ذكرها في الغريب في بداية الأمر قبل أن يجسدها على الواقع في شكل مسرحية وهي حكاية تصف رجل يعيش مع أمه، بعدها يسافر إلى بلاد غريبة ليغرب حظه وبعد أن أصبح رجلا غنيا وتزوج وأنجب طفلا عاد لبيحث عن أمه وأخته، فوجدهما يديران فندقا فقرّر عدم البوح لهما بحقيقته وقد قام بالحجز في فندقهما، وهذا ما قاده إلى حتفه " وحتى يفاجئهما ترك زوجته وابنه في مبنى آخر، وذهب هو إلى فندق أمه التي لم تعرفه حين دخل عليها، وللدعابة أنته فكرة حجز

1 - ألبير كامو، كاليجوالا، ص 10.

غرفة، فأخرج نقوده، مساء قتلته أمه وأخته بضربات مطرقة حتى تسرقاه خبات الأم وابنتها الجثة في النهر لتأتي زوجته للبحث عنه صباحا وقد كشفت هويته لهما بأنه ابنها وجاء ليفاجئها، فقامت الأم بشنق نفسها أما أخته فقد ألقَتْ بنفسها في البئر، كان هذا نتيجة سوء الفهم " هذا السوء الفهم لا يمكن أن ينمحي ويزول إلا بفهم لمسرح اللامعقول"¹.

كان موت جان بسبب سوء التفاهم فقد ظنته أمه رجلا غريبا ثريا ولم تدري أنه ابنها فقنته من أجل ماله، فلو تريتت أمه قليلا لاعترفت لها أنه ابنها ولكان حصل ما حصل أو لما لعب هاته اللعبة التي أدت به إلى الموت بطريقة عبثية، كان هذا عبث القدر أن يموت هكذا .

أما رواية الطاعون فكانت حول المدينة " مدينة وهران " التي يصيبها الوباء ويفتك بأهل المدينة ولا يجدون حل له سوى التمسك بالطبيب الذي يظل يصارع من أجل إيجاد دواء وحل لهذا المرض " ويقول كامو : إن الطاعون يكشف عن اتفاق عميق بين وجهات النظر الفردية تجاه عبث واحد ليشير إلى أن إدراك العبث هو حقيقة واحدة يدركها الجميع "² والدكتور ريو كان يكافح المرض وأن مكافحته تتطلب منه أساليب جديدة، وقد كان يدرك ريو أنه ما من حل، فلقد كرس حياته من أجل القضاء على هذا الوباء، وأن الموت حتمية الإنسان، وأن لا أمل من مهنته فهو باستطاعته التشخيص لا الشفاء، " يدرك أنه سيبقى هو أسير الطاعون، فالطاعون لديه إنما هو ذلك الوعي الداخلي الواضح بأن وجود الإنسان في الدنيا صدفة عابرة، وهذا الوعي هو مصدر كل عذاب ميتافيزيقي، عذاب يرى كامو أنه من مميزات عصرنا هذا "³ .

1 - عز الدين بوركة، ألبير كامو فيلسوف العبثية واللامعقول بامتياز، الغريب وسوء التفاهم و كاليجولا.

2 - عبد القادر توزان، الشعور بالاعتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو، ص 178.

3 - جرمين بري، ألبير كامو، ص 138.

هنا كامو في رواية الطاعون يصور لنا العزلة التي أصابت وهران عن البلدان الأخرى المحيطة بها وذلك بسبب الطاعون الذي حل بها، حيث هنا وجد أصحاب هاته البلدة أنفسهم في حالة حصار أو محاصرون في بلد واحد، أما ما كان خارج المدينة فكانوا يعبرون عن مساندتهم في هذه الحالة لكن من بعيد وعن عجزهم حيث أنهم لا يستطيعون فعل شيء لهم " وهران... وهران، كان هذا النداء يعبر البحار، ولكن عبثا كما كان من العبث أيضا أن يجلس ريو في حالة طوارئ"¹، كانت المحاولات في مساعدة أهل سكان المدينة من خلال القضاء على الطاعون كلها عبث، وكانت محاولات الطبيب ريو كلها عبثية فهو يدرك أن لا مفر من هذا الوباء غير التخفيف عنهم ورغم ذلك كان لا ييأس ولا يمل بل إنه حاول جاهدا للقضاء عليه ولو قليلا، وتوقعه للخلاص النهائي كان يبدد كل متاعبه، وهذا ما توصل له ريو في النهاية أنه أرجح البسمة للناس لكن هو يدرك أن الفرح ما زال مهددا، لأن الطاعون لا يموت ولا يختفي بل قد ينال آلاف السنين " أنه ربما يأتي يوم يوقف فيه الطاعون فترانه، ويبعث بها إلى الناس من أجل شقائهم وتعليمهم، لكي يختطفهم الموت من بين أحضان مدينة سعيدة ". هذا يعني أن الشفاء غير دائم وأن سكان هاته البلدة ما زالوا تحت التهديد كانت هذه بعض روايات ومسرحيات كامو التي تروي صور العبث، وكان لحالة حصار والسقوط، والمقصلة... كلها مؤلفات كامو تجسد العبث في الحياة في مختلف أشكاله ولم يبقى الحد هنا حول حكاياته عن العبث بل كان له رأي آخر وهو التمرد على هذا العبث الذي سنتطرق له في الفصل الثالث بل إنه قام بتأليف " المتمرد" عام 1951 لتوضيح فكرته أكثر .

1 - ألبير كامو، الطاعون، تر : كوثر عبد السلام البحيري، عالم الكتب، القاهرة، ص 177.

المبحث الثاني: مرحلة ظهور التمرد

أولاً: الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث

تمثلت الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث عند كامو كما ذكرت سوزان في كتابها مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو في ثلاث مصطلحات وهي العدمية والاعتراب والانتحار. حيث تجلت العدمية عند كامو في مؤلفاته ومسرحياته وحتى رواياته، فنجد العدمية تجلت في أسطورة سيزيف عندما يخلو العالم من وجود الإله ويحس الإنسان نفسه انه في عالم خال من الآلهة فيرى عبثية الوجود في العالم الأرضي ويكشف هذا العبث عن لا جدوى الحياة وأن لا معنى لها، فيرفض فيها الإنسان السلطة الإلهية والآلهة والكنيسة ورجال الدين، فتتلاشى القيم في العالم ويموت الإله كما قال نيتشه يدرك الإنسان العبث وسخف الحياة وأن لا فائدة منها ويجد أن كل شيء في هذا الوجود عبثي وغير مهم مما يؤدي به إلى الانعزال عن ما حوله، وقد جسد العدمية كامو في مسرحية كاليجوالا، فكاليجوالا يرى أن العالم عبثي وأن كل شيء فيه يخلو من المعنى وبالتالي كل شيء مباح، فقد قام بإنكار وجود الآلهة وكل البشر مذنبون ورعيته مذنبون والمذنب يجب أن يموت إذن فالجميع مذنب ولا بد أن يموت "، فعدميته تظهر عندما يواجه عبث الوجود بعبث أقوى منه فيقاومه بانتهاك كافة القيم المقدسة التي وضعها برأيه المشرعون البلهاء، فيسير يحنون نحو المستحيل الذي يمثل الخلود"¹، والوصول للمستحيل عنده هو أن يقبض القمر ويحطه في مملكته لأنه خارجها لكن محاولتها دون جدوى " على الرغم من كل ما يؤكدده، لم يسر في منطقة المحال إلى آخر نتائجه، فلو فعل لكان إلزاما عليه أن يقدم على الانتحار، لقد عجز كاليجوالا عن تحقيق المستحيل وظل وحيدا طول حياته، لم يلمس القمر ولم يدرك الخلود"².

1 - سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 81.

2 - عبد الغفار مكاي، البلد البعيد، ص 101.

فالعدم عند كامو ما هو إلا صورة الإنسان العبثي الذي يحس نفسه غريب في هذا العالم وأن وجوده زائف، لأن العدم هو السبب الأساسي للوجود ويظهر العدم في رواية الغريب لأن الغريب عند كامو ما هو إلا الإنسان العدمي الذي يعجز على مجاراة الحياة وقوانينها يرفض تعاليم الوجود والإله ويثير ضدهما خاصة على العدالة الإلهية والقدر الذي أوصله لحبل المشنقة أو للإعدام، رغما أنه كان يشعر أن ما حدث له كان غريبا ولم يتخيل ما سيحصل له وأن جريمته ليست كما يرونها بل إنه عندما عجز عن فهم هذا الشيء أحس بغرخته عن نفسه وعن عالمه وأن كل شيء كان عدمي، وإحساسه بالعدمية _ عدمية الوجود _ ولد لديه الشعور بالاعتراب .

والاعتراب ما هو إلا بعد من الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث، البعد الثاني بعد العدمية _ كما سبق وأن ذكرنا _ فالاعتراب أيضا من الأسباب التي تولد الإحساس بالعبث وأن لا فائدة من هاته الحياة، حيث يدل الاعتراب على غربة الإنسان، ولقد جسد لنا ذلك كامو في روايته الغريب، فقد كان مورسو بطل الرواية يحس نفسه أنه غريب في هذا العالم فكان غير مبالي بما يحدث، وكان يظن أن هذا العالم غريب عنه، وقد حوكم عبثا على جرم لم يقترفه تمثل هذا الجرم في عدم مبالاته بموت أمه وتدخينه للسجائر وهو قرب جثمان أمه وعدم حزنه أو بكائه كما ذكر مدير الملجأ للقاضي أثناء المحاكمة، فقد اعتبر مورسو نفسه غريبا عن هاته الجنازة، حيث يجد كامو أن الإحساس بعبثية الوجود ولا معقوليته من خلال اصطدام الإنسان بقيم المجتمع حين يزول الغموض، " سأله المدعي العام عما إذا كان على الأقل قد رأي أبكي، فأجاب نافيا، قال المدعي حينئذ سيقدر السادة المحلفون هذا "1.

نجد أن هذه الرواية لها جوانب متعددة حول إحساس الإنسان بالغرابة وبين تصرفاته العبثية فعدم شعوره بالشفقة والرأفة على أمه هي التي جعلته غريبا عن مجتمع يندهش بتصرفاته ويحكم عليه بالإعدام. " ومن بين صفات الغريب موقفه اللامبالي مرة أخرى من

1 - ألبير كامو، الغريب، ص 107.

تقاليد المجتمع وأخلاقه لأنه إنسان معدوم العواطف، لكنه قوي الإحساس ولهذا تبدوا معاملته لأمه وماري معاملة لا أخلاقية في نظر المحكمة¹.

وكان نفس الشعور بالغرابة في رواية الطاعون لأن سكان مدينة الطاعون كانوا يعيشون في عزلة عن المدن الأخرى وكانوا يعتبرون غرباء عن هذا العالم وعن السكان الذين يجاورونهم من المناطق الأخرى حتى إنهم أحسوا بالغرابة من بعضهم البعض الكل كان تائه في مرضه، كما يوضح كامو في محاولة لدراسته عن الاغتراب أن مواجهة البشر للموت عامل مهم من عوامل الاغتراب لأنهم بذلك يحسون بلا جدوى الحياة وأنهم غرباء في هذا العالم لأن مصيرهم الموت .

ومن أسباب الشعور بالغرابة أيضا عدم التواصل وسوء الفهم الذي ينتج من خلال عدم التوافق بين الأفراد وعدم فهم بعضهم البعض فيحس الفرد أن لا مجال لفهمه فيضطر إلى الانعزال عنهم وأنه غريب عنهم، فبدل التواصل يحصل التباعد والتنافر، فيوضح كامو أن لا بد من الكلام والتواصل لأن الصمت مميت، وبالتالي نجد أن إحساس الإنسان بالغرابة من العالم يتخلل داخله ليصبح الإنسان غريبا عن ذاته ويعجز عن فهم نفسه فيصير تائها وسط نفسه ووسط العالم يعبر مورسو في رواية الغريب حول هذا يقول " عشت بهذه الطريقة، وكان بالإمكان أن أعيش بطريقة أخرى قمت بهذا ولم أقم بذلك لم أفعل أشياء في حين فعلت أخرى"²، هذا يمثل اغتراب الإنسان عن ذاته وعن الآخرين.

إن الإحساس بالعبث وعدم وجود معنى للحياة يولد لدى الإنسان الإحساس بالغرابة عن المجتمع وعن العالم وعن ذاته وبالتالي انعدام كل شيء لديه في هذه الحياة ويدرك أن الوجود عبثي وأنه لا معقول، مما يجعله يفكر بأن لا جدوى من الحياة ويجب عدم العبث فيها ولا بد من الانتحار فهو الحل للخروج من هذا العالم العبثي لكن كامو كان قد رفضه ورفض أن يكون حلا لمعالجة العبث، لأن الانتحار يؤدي إلى موته لا إلى حياة

1 - عبد القادر توزان، الشعور بالاغتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو، ص 155.

2 - ألبير كامو، الغريب، ص 139.

أخرى جديدة يقول كامو " لا يعجبني أن أؤمن بأن الموت يفضي إلى حياة أخرى، إنه بالنسبة لي باب مغلق لا أقول أنه خطوة يجب أن نخطوها : بل إنه مغامرة فظيعة وقذرة، كل ما يقترح على من يسعى إلى أن يخفف على الإنسان وطأة حياته"¹.

أما الانتحار وهو البعد الثالث من الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية فقد عالجه كامو بشكل كبير، فالإنسان عندما يرى أن حياته أليمة وحزينة وأنه شقي فيها وهو شبه منعدم من العالم والاعتراب فيه، يبحث إلى الخلاص من هذا الوضع الذي وجد فيه وللخلاص من هذا العبث الذي أفقد نفسه فيه، فيسعى للبحث عن مخرج من هذا المأزق ليعطي معنى لوجوده، إلا أنه يصطدم بالواقع الذي يؤدي إلى الموت ويجد أن لا مفر منه، فيشعر بالفشل والإحباط، فيرى أن لا هروب من هذا الواقع ولذا لا بد من الخلاص، وهذا الخلاص يكمن في الانتحار، الانتحار الذي يرى بأنه لا معنى للحياة ولا بد من القضاء بإرادة الإنسان، فيما أن الموت آت لا محالة منه.

يجد كامو أن الشعور بالانتحار لدى الإنسان يكمن في تسلل العجز لديه ورؤية عبث وزيف العالم فلا بد من جعل حد لهذه الحياة التي لا تملك قيمة، فيرى أن الانتحار مفر، فهو بموته يقضي على متاعب الحياة وعبثيتها، لان الانتحار ما هو إلا الإفلات من لا معقولية العالم ومحال الوجود وعبثية الحياة، وما هو إلا نتيجة للعدم والاعتراب .

لكن كامو يرفض فكرة الانتحار بل يدعو إلى عدم الهروب والاستسلام لهاته الفكرة بل يجب الوقوف في وجه هذا العبث والتصدي له لأن الانتحار ليس هو المخرج المناسب لوضعه، ويجب على الإنسان السعي لوجود الطريق وسط هاته المعاناة وما تقدمه الحياة من شقاء وألم " إن المرء ينتحر لأن الحياة لا تستحق أن تعاش، وتلك هي حقيقة أكيدة ولكنها غير مثمرة لأنها حقيقة عادية"²، المنتحر يجد أن الانتحار أهون عليه من حياة بلا جدوى " فالانتحار عند كامو هو الاعتراف بلا جدوى الحياة، فالمنتحر يختار الموت

1 - ألبير كامو، أعراس، تر : جورج طرابيشي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ص 25 ، 26.

2 - ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص 17.

بإرادته معترف بعدم إمكانية تسويغها إذ ينكر وجود أي معنى عميق للحياة أو مجوز معقول لها، ويظن أنه بانتحاره يستطيع الهروب من العبث والقضاء عليه، وهو بهذا الاختيار، إنما يقوم بإلغاء المنطق من حياته ويسعى وراء أوهامه¹.

هنا كامو يجد أن تبقي على العبث بدل الانتحار، وأن الانتحار يقضي على الوعي، والحل لدى كامو لمواجهة هذا العبث هو التمرد للخروج من حالة العدمية والاعتراب فالتمرد يؤدي إلى الوعي بالعبث، وأن الحياة لا معقولة والتمرد يجد بان العبث لا محال منه وأنه موجود ويجب التمرد من أجل القضاء عليه، فالتمرد يفضي بالتحدي والوقوف في وجه العبث ورفض كل أشكال الاستسلام للعابثين والعبثية والانتحار، حيث يعي الإنسان ما يدور حوله فالوعي بالحرية يرتبط بالتمرد، إذ لا بد من الإحساس بالعبث ليتمكن بعد ذلك الإنسان من التغلب عليه وتجاوزه من خلال التمرد عليه، وكذا رغبة الإنسان في العدالة " لو كان المحال قد نتج عن تفكير فلسفي مجرد لكان الانتحار نتيجته المنطقية بلا نزاع، غير أن التحليل سيثبت لنا العكس تماما، إن المحال لا معنى له إلا بمقاومة الإنسان له ورفضه إياه"²، وقد توصل كامو إلى نتائج تجسدت في : " وهكذا فإنني أستنتج من اللاجدوى ثلاث نتائج، وهي ثورتي وحرיתי وانفعالي وبواسطة فعالية الإدراك فقط أحول إلى قاعدة للحياة، ما كان سيصبح دعوة للموت وأنا أرفض الانتحار "³ هنا كامو يقول أنه بالعبث توصل لثلاث نتائج هم : تمردني حرיתי ورغبتني وعن طريق المعرفة استطاع أن يغير كل ما يدعوا للموت في قواعد الحياة التي يرفضها على أنها الانتحار ذاته.

من خلال هذا التحليل نجد أن النتيجة من الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث تكون في التمرد، والتمرد ما هو إلا تحدي ورفض للتسلط، والتخلي عن فكرة الانتحار التي

1 - سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص 105.

2 - عبد الغفار مكايي البلد البعيد، ص ص 239، 240.

3 - ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص 74.

يعدها البعض هي الحل وهو الهروب من العبث، وبذلك يكون التحدي أساسا للخروج من العبث وهو بداية الخروج من موقف العبث لكي تأتي بعده الحرية إذ لا بد من وجود عبث ليحصل تمرد، فحركة التمرد تكون ضد الكذب وضد الاضطهاد فالتمرد يرفض انتهاك الحدود المحرمة، فالانتحار ليس حلا، لأن بقبول الإنسان للانتحار بدل التمرد هنا هو يرفض معنى الحياة .

ويعود سبب رفض كامو للانتحار الجسدي أنه يؤدي إلى إلغاء أشكال العبث، وهو يحترم قواعد اللعبة العبثية التي فرضتها الحياة، فالوعي بالعبث ما هو إلا تأكيد للوجود، والانتحار يقتل الوجود، " والانتحار من وجهة نظره ما هو إلا صرخة يأس ليس بمقدورها كسر حائط الاغتراب، ولذا فهو فائدة لأي معنى : وحياة الإنسان تتطلب عملا من أجل أن تصبح معاشة " ¹.

1- أ. ساخاروفا، من فلسفة الوجود إلى النبيوية، ص 36.

ثانياً : الفن والعبث

الفن " تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات بواسطة الخطوات أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ"¹.

يرى كامو أنه لا وجود لفرق بين الفنان والفيلسوف، فكلاهما يعكسان الواقع فيما ينتجانه، والفنان يتمرد على هذا العالم اللامعقول من خلال التعبير عنه بفنه، فهما يسعيان إلى الالتزام بفكرتهما وقد عبر كامو عن هذا الموقف من خلال أسطورة سيزيف حين قال: "والروائيون الممتازون العظام هم الروائيون الفلاسفة، أي أضداد كتاب البحوث فمثلا بازك، وساد، وميلفيل، ونستدال، ودوستويفسكي، وبروست، ومالرو، وكافكا هذا إذا أردنا أن نذكر القلائل، والحق أن تفضيلهم الكتابة بالتصورات بدلا من البحوث المشبعة بالتحليل العقلي يوحي بفكر معين يشتركون فيه جميعا، بعد أن اقتنعوا بلا فائدة أي مبدأ تفسيري، وبعد أن وثقوا من الرسالة التثقيفية التي يضطلع بها المظهر المحسوس، وهم يعتبرون العمل الفني نهاية وبدائية، إنه حصاد فلسفة غير معبر عنها، تفسيرها وتنفيذها"² هذا مما يؤكد لنا أن كامو قد أقر أن هناك ترابط وتداخل بين الفيلسوف والفنان وبين الفلسفة والفن، ويكمن الارتباط بين الفن والعبث عند كامو في أن الفنان لا بد من التمرد على العبث الموجود في الوجود ويعيد صياغته، وكأنه عندما يدرك العبث فإنه يقدمه للناس عن طريق عمله الفني الذي يعكس لهم فيه حياته، لكن العمل الفني لا بد أن يحافظ على معاني اللاجدوى والتمرد وإلا لكان عملا مملا، فهاته الحياة بعثيتها لا يجد الإنسان فيها مخرجا سوى الهروب إلى الفن، لأن الفن هنا يستطيع أن يجسد ويبلور ما يريده الإنسان من رسم لهاته الصورة التي في مخيلته، فكامو هنا يرى أن الإنسان حين يدرك عبثية الحياة ووجوده في هذا العالم اللامعقول والمؤلم يسعى لإيجاد طريق جديد لهاته الحياة، هذا الطريق يساعده في التغلب على مأساته ويريه الجوانب السطحية للحياة

1- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (مادة الفن)، ص 476.

2- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص ص 119، 120.

ولا يدعه للتعلم فيها وذلك من خلال التأمل فيها، حيث عبر كامو عن كل هذا من خلال كتابة وجها الحياة الذي ضم تجسيد الفن في العبث، وقد كان خطابه في السويد معبرا عن ذلك يقول كامو " إن الفن بمعنى ما هو ثورة ضد العالم، ضدها فيه من زائل وناقض، فهو لا غرض له إلا أن يعطي شكلا آخر لواقع أكره على المحافظة عليه لأنه ينبوع تأثره، وكلنا من هذه الناحية واقعيون كما أن أحدا ليس كذلك، إن الفن ليس رفضا كاملا، وليس قبولا كاملا لما هو كائن إنه رفض وقبول بنفس الوقت، ولذلك فهو لا يستطيع أن يكون إلا تمزقا دائما متجددا ويجد الفنان نفسه في هذا الالتباس غير قادر على إنكار الواقع، ولكنه وقف نفسه أبديا على أن يناقش فيما يراه غير كامل " ¹ هنا كامو يفسر الفن على أنه ردة فعل معاكسة ضد العالم، والفنان عندما ينظر إلى هذا العالم فإنه يجد نفسه أمام جزء غير كامل في هذا العالم، وهذا ما يكون موضوع نقاشه الذي يتجسد في فنه، لأنه رأى انتهاك لفردية الإنسان وسحق شخصيته في هذا العالم، فيقوم بمعادة الواقع والعقل والتحرر من كل هذا، ثم التماس الخلاص بالتمسك بما في الإنسان من استعدادات فطرية فهي السبيل الوحيد للكشف عن طبيعة النفس الإنسانية، لأن خضوع العقل لما تفرضه الحياة من عبث قد يعوق الفنان، فمثلا عند سؤال طفل في الخامسة من عمره رسم شجرة أو بيت أو سمكة فإنه يمسك بالقلم دون تردد ويرسم خطوطا لا علاقة لها بما طلبته هنا هو يعبر عن ما في نفسه من مشاعر وإذا سألت الطفل نفسه بعد أعوام وسألته نفس السؤال فإنه سيسأل كيف أرسم مثلا حوتا وأنا لم أر الحوت في حياتي؟ " هنا نحس بأن ما اكتسبه الانسان من عقل ومنطق بنموه في الحياة وبتعوده إقامة علاقاته مع الغير على العقل والمنطق قد قتل فيه انطلاقاته الصادقة الأولى أيام طفولته، أيام كان خياله بلا قيود ولا حدود وأيام كان عقله الباطن هو المتحكم في أفكاره وأفعاله " ²، إذن فالعودة إلى الطفولة هي التحرر من عبث الحياة ومنطقها

1 - ألبير كامو، وجها الحياة، تر : سامي الجندي، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1962، ص ص 33،34.

2 - محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص 175.

محاوولا عدم الخوض في القوالب اللامعقولة لامعقولية العالم، ويقول نيتشه أنه ما من فنان يتحمل الواقع، فالفنان هو يرفض هذا العالم اللامعقول من ما فيه من نقص، فالفن ينكر الواقع العبثي لكنه لا يهرب منه، ونيتشه قال بأن الاستشراق يمكن أن يحمل في طياته جمالا يدفعنا إلى حب هذا العالم الفاني اللامعقول إلى إثارة عالم آخر، فالفن هنا يرجعنا إلى التمرد، لأن في الفن قبولاً بالإضافة إلى الرفض " ما من فن يحيا على الرفض التام، فكما أن كل فكرة، وفي الطليعة فكرة اللامعنى، هي ذات معنى، كذلك لا وجود الفن اللامعنى، يجوز للإنسان أن يفضح الجور التام في العالم، وان يطالب حينئذ بعدالة تامة ينفرد بخلقها، ولكن لا يجوز له أن يؤكد دمامة العالم التامة، فكي يخلق الجمال، عليه في الوقت نفسه أن يرفض الواقع وأن يمجذ بعض وجوهه "1.

كامو كان بخلاف سارتر لم يشرع للفنانين كلهم، كما أنه لم يجعل الالتزام السياسي عنصرا واجبا في كل إنجاز فني عبر العصور، كامو في عصره كان مثله مثل الفنان، فكتاباته لم تكن منفصلة عن عالم الخصال والخيبة اليومي، لقد كانت تعبير حقيقي عن صلة كامو بعصره، وفكرته عن الفن كانت رفيعة لا تقبل المساواة، وهذا ما ميزه عن معاصريه

" ليس الكفاح هو ما يجعل منا فنانين، بل إن الفن هو الذي يدفعنا إلى أن نكون مقاتلين، ولم يكن دفاعه العنيد المرير أحيانا، عن أمانته السياسية إلا دفاعا عن أمانته الفنية " 2.

يعتبر كامو شبيها للفنان، فالفنان يكون فنه عبارة عن مسؤولية له فهو يعبر عن الواقع ومشكلات الحياة من خلال الرسم أو ما شابه، أما كامو فقد كان يعبر عن حياته وما عاشه في طفولته من فقر ومن تعيسة وكان مواكبا لاحتلال الاستعمار الفرنسي في الجزائر جعله كل هذا يعبر عن طريق رواياته ومسرحياته : الغريب، الطاعون، سوء

1 - ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص 320.

2 - جرمين بري، ألبير كامو، ص 261.

تفاهم، المقصلة، أعراس، وجها الحياة، أسطورة سيزيف ... وقد جمع كامو كل آرائه حول الفن في ضمن إطار العبثية في أسطورة سيزيف .

ويرى كامو أن الممثل هو النموذج من نماذج العبث في مجال الفن فهو يتخيل حياة أخرى أجمل من واقعه على خشبة المسرح، " لدى الممثل ثلاث ساعات فقط ليكون أياكو أو السيت أو ... وهو في تلك الفترة القصيرة من الزمن يجعلهم يأتون إلى الحياة ويموتون على خمسين ياردة مربعة من الألواح، فلم يسبق أن صورت اللاجدوى بمثل هذه القوة وهذا التفصيل، فأى إيجاز موح أكثر من هذا يمكننا أن نتصور ؟ أفضل من هذه الحياة العجيبة، تلك المصائر الاستثنائية النهائية التي تتكشف خلال بضع ساعات ضمن النطاق المسرحي إن سيجمون لا يعني شيئاً خارج المسرح وبعد ساعتين، يراه المرء وهو يعيش في المدينة، وبعد ذلك فلربما كانت الحياة حلماً¹، هاته الحياة التي عاشها الممثل سيغmond ما هي إلا صورة من صور الحياة العبثية التي يعيشها إنسان المحال، فقد اختفت لدى الممثل كل مظاهر الألم والشقاء من خلال تلك الثلاث ساعات التي عاشها على خشبة المسرح، وكأنه سيموت خلال هاته الساعات الثلاث تحت القناع اتخذه لنفسه اليوم، وفي هاته الساعات الثلاث يعبر فيها عن حياة أخرى كاملة يكون هنا الممثل مقلد العمر قصير، حيث نجد أن قاعدة الفن تحض على أن يكون الجسد ملكاً لتلك اللحظة وهنا يصبح الفنان أكثر عبثية عند كامو بسبب قدرته على تجسيد على الواقع، لذلك فهو سيخلق صورة جديدة لهذا الواقع، فهو سيصور معاناة البشر في العالم ويساعد في إيصال صوتهم من خلال هاته المسرحية أو هذا الدور الذي يمثله .

أما أشد العبثيين عبثاً هو الخلاق فهو يعلم أن العمل الفني هو وسيلة يعيد بها حياته احتجاجاً و ثورة على مصيره الإنساني من خلال القصة أو الرواية، " إذا عدنا إلى تصوره للرواية بصفاتها فنا قائماً بذاته ... يحض الرواية بالتعبير عن الحياة، ... بحيث تتولى

1- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص ص 92،93.

التعبير الكامل عن التجربة الشعورية التي تختارها، وتشعر القارئ بأن ما تصوره حياة حقيقية¹.

ويوضح كامو أيضا أن الفنان يستطيع أن يجسد التجربة العبثية من خلال النثر والشعر لأنه من خلالها يتحد الشاعر بالعالم، يقول كامو واصفه تيبازة، " والبحر نفسه أيضا ساجيا، تماما تقريبا عند الصباح يبدو لي مباشرة عند الأفق منذ أن تترك الطريق منطقة الساحل، وتلالها المغطاة بأشجار الكرمة ذات اللون البرونزي، متجهة نحو رمال الشاطئ....

ذلك الجبل الراسي بصلابة، القائم كتلة واحدة حادا خليج تيبازة من الغرب ... وكأنه بخار خفيف ممتزج بزرقه السماء"²، هذا كامو يوصف الطبيعة ويشاركها جمالها كي يستطيع الإنسان تعلم طريقة حب الحياة، أو إعادة خلق الحياة عن طريق الفن. إذن الفن عند كامو يسعى للتأثير على الناس ومشاركتهم أحزانهم ومآسيهم وعكس التجربة العبثية التي يعيشها لأجلها أو محاولة تحليلها، وهذا ما يدفع بالفن إلى التمرد فيقف في وجهها ويصر على مواجهتها.

1 - علي شلش، التمرد على الأدب، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1994، ص 57.

2 - ألبير كامو، الصيف، تر : علي الجندي، دار الجندي للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 2008، ص 101.

ثالثاً : من العبث إلى التمرد

اكتشف كامو أن الحل للخروج من الحياة العبثية أو التجربة العبثية لا يرجع إلى الانتحار مثلما يفكر الإنسان الذي يفقد الأمل، بل إنه التمرد، حتى إنه قام بتأليف كتاب حول التمرد ما سماه " الإنسان المتمرّد "، حيث بين فيه كيفية البحث عن الخروج من هذا العبث الذي كان قد ذكره في مؤلفاته السابقة، ويكون ذلك من خلال الوعي، الوعي بواقع الحياة فعندما يعي الإنسان بهذه العبثية ينتقل من خلاله إلى التمرد، فعندما يعي الإنسان بالعبث فإنه في طبيعة الأمر يكون واعياً للتمرد، حيث يجد الإنسان نفسه واعياً بما يحصل له في هاته الحياة من شقاء وألم وبؤس والروتين اليومي في حياته وأن حياته في هذا العالم اللامعقول تتصف بالضجر والملل، فإنه بذلك يحس بعبث الحياة "، هنا يدرك أن الحياة تقضي نوعاً آخر جديد أو بطولة، بطولة لا تعرف معنى الأشياء السيئة، بطولة الأمل وتكون هاته البطولة تتمثل في التمرد وعدم الاستسلام، " وهذا هو البطل سيزيف إنه أسمى من العذاب وأسمى من الأمل ومن جميعاً، فهو يعلم أولاً أنه محكوم عليه، وهو يعلم أن هذا الحكم لا رجعة فيه، هذا العذاب مدى حياته أو مدى حياة الآلهة، ولكنه مع ذلك يرفع الحجر إلى الجبل، ويلاحقه إذا نزل إلى السفح، وينحني عليه ويحرص على ألا يسقط من يديه "1، هنا سيزيف رغم الألم والعذاب إلا أنه بقي متشبث بالأمل ويواصل عمله، بل إنه بقي يصارع هاته اللعنة ويقاوم المستحيل، وما زال يستمر في التصدي لهذا العبث من خلال مقاومة المستحيل، فالعبث ما هو إلا نقطة انطلاق ولا يمكن أن يكون هدفاً أو غاية أو النهاية، وكأن ديكارت من خلال أسطورة سيزيف كان يدعو إلى الشك المنهجي الذي وجد عند ديكارت، والفكرة التي أدت إلى العبث عند كامو كان من المفترض أن تنتهي بالتمرد لمواجهة العبث في حد ذاته، ونجد هناك تشابه واضح لدى ديكارت و كامو لأن الشك المنهجي عند ديكارت أدى به إلى الفكر ومنه أثبت الوجود وقام الكوجيتو الديكارتي " أنا أفكر إذن أنا موجود "، فإن كامو كان له نفس الوقع، حيث

1- جون كروك شانك، ألبير كامو وأدب التمرد، ص 16.

رأى أن التمرد يؤدي به إلى الحقيقة الموضوعية التي من خلالها يثبت وجود الأنا ثم يثبت وجود النحن ولهذا كان الكوجيتو الكامي يقول " أنا أتمرد إذن أنا موجود".
وبذلك يعتبر كامو قد عالج الاثنين معا، فكما عالج العبث في مؤلفاته فقد عالج التمرد أيضا وكتب عنه.

" وبالعودة إلى الوعي فقد كان لكامو رأي لأنه أشار إلى وجود مرحلتين يمر بهما الوعي، فيرى أنه في المرحلة الأولى يبدأ الوعي بالعبث وبعد ذلك ما يلبث حتى يتحول ليصير وعي بالتمرد، ففي المرحلة الأولى نجد أن الوعي يكون موجودا وحاضر في علاقة الإنسان بالعالم، حيث يعي الإنسان مدى بؤس حياته والألم الذي تحتويه ويكره من الروتين الممل فيها، فيتقطن بذلك ويعي العبث في حياته وكيف تجسد في تفاصيلها إلى أن يسأم من لا جدوى الحياة " ¹. فكل شيء إنما يبدأ من الإدراك وبوجود الإدراك فإن لا شيء يدعو إلى الاهتمام فهو الكشف التخطيطي لأصول اللاجدوى، كما أنه بالوعي أو الإدراك يستطيع الإنسان مقاومة العبث من خلال التمرد، وهنا وجود التمرد إنما يدل على شيء واحد وهو أن هناك عبث في الواقع، ومن هنا تكون المرحلة الثانية وهي الوعي بالتمرد، لأن التمرد ينطوي على رفض هذا العالم اللامعقول، فكل شيء يبدأ بالوعي، وما من شيء نجد له قيمة إلا من خلال الوعي، " فما كان جدارا خاويا من اللامعنى يبدو بعد ذلك ليس بجدار قط، إلا أنه يبدو كذلك فقط ... وانفعالاته تظل مندفعة ومحاولة التشبث بشيء لتحطيم عدم الفهم هذا...ألا يدرك نفسه باعتباره قادرا على رؤية العالم وحسب وإنما باعتباره قادرا على تغيير إدراكه هذا العالم"².

الوعي بالعبث يفترض التمرد هنا ما أشار له كامو، ويكون كالاتي : في بداية الأمر يجب على الإنسان أن يرفض كل متعال وفي كل ما هو باق وخالد في الزمان، الحياة

1 - روبير دولوبيه، كامو والتمرد، تر : سهيل إدريس، مطابع الآداب، بيروت، 1955.

2 - كولن ولسن، المعقول واللامعقول، تر: أنيس زكي حسن، منشورات دار الآداب بيروت، ط 4، 1978، ص 127.

عذاب وتمزق والوعي بهذا الشيء يجب أن يبقى حيا، نجد أن التمرد كان حاضرا في تفكير كامو منذ البداية، لأن الإنسان قد يفاجئه الإحساس بقدره العبثي، فليس عليه أن يلعن قدره، فهو سيشعر أنه ظلمه القدر، فكل ما يملكه الإنسان هنا هو رفضه لقدره العبثي وليس الإنسان هو من يرفض بل الوعي بعبثية القدر، وهذا الرفض إنما يكون هو التمرد بحد ذاته الذي يقوم بالوعي بالعبث ومحاولة الوقوف في وجهه والحد منه، فتتخذ بذلك الحرية والتمرد وعاطفة الحب للحياة، هنا كامو يقول أنهم يجسدون قيمة الانسان وكبريائه.

ولقد جسد لنا كامو الوعي في رواياته وكان في بعض رواياته الوعي يظهر في آخر حياة البطل أو أن البطل يكون واعيا منذ البداية، فقد تختلف المواقف ويطول ظهور الوعي لكنه ما يلبث إلى أن يظهر، وقد تجسد الوعي بالمحال أو الوعي بالعبث في رواية الغريب في نهاية حياة البطل، فكل الأحداث التي مرت عليه سواء من وفاة أمه ودفنها إلا أنه لم يبال بذلك حتى عندما قتل الأعرابي، وسجنه ومحاكمته كلها كانت بلا جدوى وبقي في المحال، وكان استيقاظ الوعي لديه حين زاره القس بعد الحكم عليه بالإعدام هنا كان ظهور الوعي بالمحال لدى مورسو " ولكن حكم الإعدام يسقط كسيف الجلاد، ويزوره قسيس السجن في زنزانته ويصطدم مورسو به فيستيقظ الوعي بالمحال الذي ظل كامنا فيه، وبينما يتشبث مورسو بسعادة من هذا العالم، نجد القسيس يعده بسعادة أخرى في عالم آخر "1، لأنه هنا يهيج مورسو ويبدأ في الصراخ على القسيس . " وكأنما هذا الغضب العظيم قد خلصني من الألم، وأفرغني من الأمل إزاء هذا الليل المليء بالإشارات والنجوم، ولأول مرة أفتح أمام لا مبالاة العالم الحنون"، لم يستيقظ إحساس مورسو إلا في نهاية حياته حيث يذكر لنا كامو ذلك من خلال رواية الغريب، أن مورسو هنا بدأ يخالجه التفكير بأمه، وماري، والناس الذين تواجدوا بالمأوى واتهموه بأنه لا يحب أمه بسبب عدم حزنه وبكائه أثناء رؤيته لجثة أمه. " أحسست أنني كنت سعيدا، وأني ما زلت سعيدا "،

1 - عبد الغفار مكاي، ألبير كامو (محاولة لدراسة فكرة الفلسفي)، مرجع سابق، ص 96.

حتى إنه تمنى حضور جمع غفير، وأن يستقبلوه بصرخات حقد أثناء تنفيذ حكم الإعدام عليه .

أما الوعي بالعبث في كاليجوالا، فقد تجسد في المنطق بالمحال، حين أراد أن يدرك المستحيل أن يلمس القمر، حيث أراد تغيير نظام الأشياء، وأراد من الشمس أن تغرب في الشرق، وأن يختفي العذاب من الأرض ويزول الموت أراد كاليجوالا إثبات حرите المطلقة، لكنه لم يستطع إدراك المستحيل، ورغم معرفة كاليجوالا لمنطق العبث إلا انه لم يكمل لآخر نتائجه لأنه كان يطلب المستحيل وهو القمر ... وغيرها من القصص التي كان كامو عند رواية حكايتهم إلا أنهم يصطدمون بالوعي في إحدى جوانب حياتهم لينتقلون بذلك ويؤدون القفزة التي أراد كامو أن يصلها الناس وهي الوصول للتمرد بعد إدراك العبث.



الفصل الثالث :

التمرد وكامو

- تمهيد
- المبحث الأول : نظرية التمرد عند كامو.
 - ✓ أولا : مفهوم التمرد عند كامو.
 - ✓ ثانيا : قيم التمرد .
 - ✓ ثالثا : الفن والتمرد.
- المبحث الثاني : مراحل تطور التمرد.
 - ✓ أولا : التمرد الميتافيزيقي والتاريخي .
 - ✓ ثانيا : التمرد والثورة .
 - ✓ ثالثا : التمرد والقتل .

تمهيد:

ارتبط اسم البير كامو بالعبث والتمرد والتحدي واللامبالاة، وقد أسست الكثير من المدارس لتدريس هذا المذهب الأدبي الذي أول ما ظهر كان في منتصف القرن التاسع عشر بعد أحداث الحرب العالمية الثانية ومخلفاتها في النفوس والأفكار ونظم الحياة، وكانت أعمال كامو تبدو وكأنه عالم نفس وأخلاق (هل تستحق الحياة أن تعاش؟).

إن طبيعة التمرد لدى كامو نلمسها في كتاب (أسطورة سيزيف) و(الإنسان المتمرّد) وأيضاً في كتاب (الغريب وكالي جولاً والوجه والقفة) و(المقصلة أعراس)، وتوحي بوجه حاد وليس بشعاع رقيق، فالإنسان المتمرّد لدى كامو لم يستطع البقاء صامتا على وضعه المهان.

إن حركة التمرد ليست في جوهرها حركة أنانية أو مقصد أناني، لكن التمرد يكون ضد الكذب وضد الظلم وضد الاضطهاد، والمتمرّد من خلال هاته الخطوة فهو يغامر بكل ما يملك من أجل المطالبة بالاحترام من أجل ذاته، فالإنسان المتمرّد إنما يسعى لإعادة الاعتبار لنفسه فهو يرضى بالعالم كما هو لكن لا يرضى بالتخلي عنه، فهو إنما يتمرّد على السلطة الرئاسية التي تنتهك الحدود المحرمة، فهو لا يطالب بحرية تامة أو استقلال عام أو الاعتداء على حرية الآخرين، فهدف المتمرّد إنما خدمة العدالة.

إن الفكر التمردى مرتبط بمنطق العدم والتفكيك من خلال نفس المركز وتهميش الذات الإنسانية التي باتت خاضعة بأساليب القمع التسلطي، كالعنف، الوحشية، الرعب والموت، والتمرد عند كامو يكون من خلال إدراك عبثية الوجود ولا عقلانية العالم، ويذهب كامو إلى أن التمرد يقوم في مجال التجربة الإنسانية عمل الدور الذي يقوم به الكوجيتو الديكارتي (أنا أفكر إذن أنا موجود)، فيقول كامو (أنا أتمرّد إذن أنا موجود)، فإن كان ديكارت ابتداءً بالشك فإن كامو ابتداءً بالوعي، فكامو أثبت الوجود من خلال الفعل أما ديكارت فأثبت الوجود من خلال الفكر.

وفي عبارة كامو (أنا أتمرد إذن أنا موجود) تعني أن كل متمرد موجود أو حين أتمرد أوجد أي في كل مرة أتمرد فيها إذن أنا الآن موجود. والتمرد إنما يكون جماعي لا فردي (أنا أتمرد إذن نحن موجودون) والمتمرد تجده يرفض من جهة ويؤكد من جهة، أي لديه (لا) و (النعم)، لذلك تصبح فلسفة التمرد هي فلسفة ديالكتيكية وجودية جامعة للنقيضين في آن واحد.

إن التاريخ ذاته وأحداثه يجبران الفرد على الاعتراف بأن التمرد هو إحدى الصفات المبدئية للإنسان، حيث أنه واقع تاريخي للإنسانية فلا يجوز الهروب من هذا الواقع ولكي يحيا الإنسان عليه أن يتمرد.

والتمرد كان في البدء اقتناع الإنسان بالعبثية والعقم الظاهري الذي يغلف العالم إذن نجد أن الألم في بادئ الأمر يكون فرديا في التجربة العبثية، وفي حركة التمرد يشعر به على أنه ألم جماعي ويصبح مصيرا مشتركا بين الجميع.

لقب كامو بفيلسوف التمرد فلقد ربط الانتقال من العبث إلى التمرد بالوعي الذي يدفع إلى مقاومة العبث ليأخذ التمرد شكل الرفض والتحدي مع الرفض النهائي للقتل والعنف، حتى نجده قد وصف القرن العشرين بقرن العدمية لما حل فيه من قتل وتعذيب. والتمرد لا يقدم الحياة على أنها وضع مستقر بل وضع في طريقه للاستقرار، وهاته التجربة هي التي يكابدها الوجود الإنساني والذي يسميها جان بول سارتر العذاب، ويسميها أندريه مالرو المصير.

وقد ألف كامو كتاب على التمرد هذا الكتاب الذي كان السبب في قطع علاقته بصديقه الحميم سارتر.

فما هو التمرد عند كامو؟ وما الفرق بين التمرد والقتل والثورة؟.

المبحث الأول: نظرية التمرد عند كامو

أولاً: مفهوم التمرد عند كامو

سبق وقد عرفنا التمرد لغة واصطلاحاً، لكن كامو أعطاه تعريفاً أيضاً ونجده أيضاً قد ألف كتاباً أسماه (الإنسان المتمرّد)، فالمتمرّد لديه هو الإنسان الذي يقول (لا) هو الإنسان الذي يرفض واقعه، ويطمح إلى تحسين الحياة التي يعيشها، الإنسان المتمرّد هو ذلك الإنسان الذي تعب من السيطرة والاستغلال الذي كان يفرضه عليه النظام، حتى لم يستطع التحمل وقول نعم (إن الأمور استمرت أكثر مما يجب، وأنها مقبولة حتى هذا الحد، ومرفوضة فيما بعده، وأنتك غالبيت في تصرفك، وتعني أيضاً أن هناك حداً يجب ألا تتخطاه)¹، هنا نجد أن المتمرّد يقول نعم ولا في نفس الوقت إنه يؤكد وجود الحد، ويعرف كامو التمرد على النحو التالي: (الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه، أو بمعنى آخر هو الكائن الذي لا يرضى أبداً عن كيانه، فهو دائم السعي إلى تغييره والعلو عليه)²، إذا التمرد متواجد في كل تجربة إنسانية لأن كل تجربة إنسانية تحتوي على الرفض والقبول في آن واحد لأن المتمرّد في قوله لا هنا يضع حداً لا يجب تجاوزه، فهو يقول لا لكي لا تتعدى حدوده لأنه أدرك واقعه ووضع في هذه الحياة وقرر عدم المضي في هاته الطريق التي يحس فيها بالاضطهاد وأنهم قد تجاوزوا الحد، لكن رفضه هذا إنما يصاحبه القبول لحقوقه التي يجب عدم الاعتداء عليها، فالمتمرّد يشعر أنه على حق (يقول العبد لسيدته المضطهد لمن يضطهده: "إنك تتجاوز الحد"، أو يقول "لا تذهب إلى أبعد من هذا" إنما يقول لا لمن يدوس حقوقه بقدميه، ولكنه في الوقت نفسه يقول نعم لهذه الحقوق نفسها)³.

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرّد، ص18.

2- عبد الغفار المكاوي، ألبير كامو، ص11.

3- المرجع نفسه، ص112.

ونجد أن المتمرّد إنّما يطالب بحرية محددة فهده ليس الاستلال التام وإنّما حرية تنتهي عند بداية حرية الآخرين، والمتمرّد في تمرده يكون مستعداً للتضحية بكل ما يملك، ولا يكون التمرّد فعّالاً إلا إذا اقترن ببني البشر فبتضامنهم يستطيعون تحقيق مطالبهم التي من ورائها قرروا التمرّد، لأن التمرّد إنّما يسعى لتحقيق العدالة كما ذكر كامو في كتابه (الإنسان المتمرّد)، ويكون التمرّد بالقيم وإذا حاز عن مطلبه فقد معناه وأصالته وهده الحقيقي، لأن القيم التي يتشكل منها التمرّد قيم لها واقعها ومضامينها التي تتأكد عبر أفعال التمرّد نفسه، ويجد كامو أن التمرّد يحقق للحياة قيمتها وعظمتها، لأنه يحرص التفكير واعتزاز الإنسان بأمر عدة لحقيقة تتجاوز ذاته، ويقصد كامو من لفظة التمرّد بوجه عام (انعدام التوافق أو الانسجام بين حاجة الذهن إلى الترابط المنطقي وبين انعدام المنطق في تركيب العالم، الأمر الذي يكابده الذهن ويعاني منه)¹، ويجد كامو أن التمرّد إنّما هو الحل الوحيد لمواجهة التجربة العبيثية، وفكرة التمرّد عند كامو إنّما هي تفسير لاتجاه عصرنا تفسيراً جزئياً، فيصور لنا تاريخ الكبرياء لدى الأوربيين وعن غرورهم وطيشهم، والبحث في مواقف هذا التاريخ ومطامحه في نجاحاته وفي فشله، فالتمرّد وحده من يستطيع فتح أفق جديدة ظلت تحت التفكير العبيثي، فكامو يؤكد فكرة التمرّد على الواقع والثورة عليه (والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه، بل إنه المخلوق الحر الذي يقف في وجه موقفه البشري متمرداً في الوقت نفسه على الخليفة كلها)²، وفي حالة التمرّد فإنه يتحد جميع المتمردين على المتمرّد عليهم، من أجل تحقيق هويتهم ومن أجل الجمع بين بعضهم البعض، بين الإنسان وأخيه الإنسان فالتمرّد إنّما تضامن بين المضطهدين، فالتمرّد إنّما يعي بوجوده ويعي بوجود الآخرين ومن خلال هذا الوعي يتضامن الكل ويتشاركون في الانسانية، كما أن المتمرّد لا يأخذ ملك غيره بل إنه يغامر بنفسه وبكل ما يملك ويبضحى بهم من أجل إثبات وجوده، والتمرّد لا

1- عبد الله بن محمد الشعلان، مع ألبير كامو عالم العبيث والتمرّد، مجلة فكر الثقافية، 2017م.

2- بركات عباس سعيد، ملامح التمرّد في حركة الفلوكس، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية.

يكون من طرف المضطهد فقط بل أيضا قد ينشأ لدى من يشاهد الاضطهاد (إن التمرد لا ينشأ فقط بالضرورة لدى المضطهد، بل قد ينشأ أيضا لدى مشاهدة الاضطهاد الذي يتعرض له شخص آخر، هناك إذن في هذه الحالة توحد ذاتي مع الشخص الآخر)¹، هنا تفسير على أن التمرد يستطيع أن ينتج من مضطهد ومشاهد للاضطهاد.

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص22.

ثانياً: قيم التمرد

يرتبط التمرد بالقيم فإذا حادت إحدى القيم عن معناها فإن التمرد يفقد مساره وهدفه الحقيقي، فتعتبر كل قيمة من قيم التمرد تولد عدة قيم أخرى، والقيم التي يتشكل منها التمرد ليست قيم مجردة وإنما قيم تحتوي على مضامين تؤكد التمرد، لأن التمرد وكما وصفه كامو هو مبدع قيم، ونجد أن التوتر أهم قيمة في التمرد لأن المتمرد يبقى في صراع أو توتر بين اللا والنعم، فعندما ركز على المعنى السلبي (لا) فإنما نقصد به مضطهده أو مضطهد، وبالنسبة للمعنى الثاني فهو ذلك المعنى الإيجابي (نعم).

وهناك ثلاثة قيم للتمرد تتمثل في الاعتدال (الحد)، العدالة والحرية، والتضامن البشري، والتمرد الأصيل يجب أن يحمل هاتيه القيم الثلاث دون الانحياز إلى أي من هاتيه، وهذا ما يؤكد كامو، كما أن هاتيه القيم الثلاث تظهر لنا بشكل جلي العلاقة بين التمرد والعبث.

أولاً نجد الاعتدال أو الحد وهي القيمة الأولى التي تأتي في مقدمة التمرد، لأن كامو يدعو إلى التمرد والوقوف في وجه العبث من خلال التمرد المعتدل، وأيضاً هناك حدود يجب على المتمرد احترامها (فالإنسان كيف ما يوجد، عليه أن يتمرد، ولكن على تمرده أن يحترم الحد الذي يكتشفه في ذاته، هذا الحد الذي عنده يشرع البشر بالوجود بتلاقيهم مع بعضهم البعض)¹، لكن المتمرد يبقى في توتر دائم وعنيف بين القبول والرفض، بين الخير والشر، والعدل والظلم، والحياة والموت، ومن خلال هذه التناقضات فإنه في الأخير يستسلم للإنكار التام والخضوع الكلي وتنتج عن هاتيه المواجهة فكرة الحد والاعتدال. ولا بد للمتمرد الحفاظ على الحد الذي يجده في نفسه، يقول كامو في مسرحية "حالة طوارئ" أنه ليس هناك عدالة بل هناك حدود.

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص29.

وتعود جذور الحد من الفكر اليوناني، والتمرد عند كامو إما أن يكون تمردا محدودا أولا يكون، فعلى الظالم أن يلتزم حده ويقف عنده ويكف عن ممارسة الظلم.

والتمرد المعتدل المحدود هو الموضوع الحقيقي الذي تدور حوله فلسفة كامو التمردية لأن الحد يحمل تمرد من التطرف ويحافظ على براءته، لكنه يفقد أصالته إن لم يلتزم بالحد والاعتدال.

والتمرد في الأصل هو تقابل بين الوعي وبين ظلام وبؤس العالم، والوعي هو الذي يؤكد أهمية الحد الذي بدوره يحافظ على الطبيعة البشرية، يقول كامو: (لو أمكن للتمرد أن يبني فلسفة لكانت فلسفة الحدود)¹، فالحد الذي يكشفه التمرد يبذل كل شيء لأن الحد هنا يحترم الطبيعة الإنسانية ويعظم كرامة الإنسان ويمنعه من الوقوع في الثغرات، فالثورات إنما تعتمد على العنف وفيها يتجاوز الحد وينحرف التمرد عن مساره لذلك نجد كامو يسعى بالمطالبة بوضع حدود أخلاقية للثورات التاريخية، حيث يقول: (إن الثورة بلا حدود سوى الفعالية التاريخية، معناها العبودية بلا حدود، للخلاص من هذا المصير، يتحتم على الفكر الثوري إذن، إذا أراد أن يضل حيا أن يتنشط في منابع التمرد، وأن يستلهم إذن الفكرة الوحيدة الآمنة لهذا الأصل، ونعني فكرة الحدود)². وبالتالي الاعتدال أو الحد يبقى أهم قيمة في حركة التمرد، وبوجود هذه القيمة يكون التمرد أصيلا، وفي حالة عدم وجوده يؤول التمرد إلى الثورة.

بالإضافة إلى قيمة الاعتدال هناك القيمة الثانية وهي العدالة والحرية هنا نجد كامو يرفض الحرية المطلقة والعدالة المطلقة وينادي بضرورة التزام العدالة والحرية النسبية في التمرد ولا مكان لحرية مثالية، فهو يرى أنه يمكن الوصول إليها فجأة في يوم من الأيام لأنه يؤمن بوجود حريات متعددة، وهاته الحريات إنما يصل إليها الإنسان الواحدة

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرّد، ص385

2- المرجع نفسه، ص364

تلو الأخرى، فهي بالنسبة له مراحل للطريق الذي سيؤدي به إلى التحرر الواقعي الحق الذي يسعى إليه من خلال التمرد، وكامو في نفيه للمطلق إنما يجد أن الحرية المطلقة تستبعد العدالة والعكس فإن العدالة المطلقة تنفي كل حرية وبالتالي إلغاء الانسجام (فالحق أن الارتباط وثيق بين العدالة والحرية والتضامن بينهما مكفول، بشرط أن ننظر إليهما نظرة معتدلة، فالحرية المطلقة تؤدي إلى الظلم، والعدالة المطلقة تخنق كل حرية، وكلاهما ينتهي بالبوليف أو بالجنون، وفي الحالتين بالجريمة والقتل)¹.

نجد أن السبب وراء رفض التمرد المعتدل للعدالة المطلقة والحرية المطلقة لأنهما يؤديان إلى إلحاق الضرر بالإنسان وقد ينتقل إلى حد الجريمة والقتل.

ويرى كامو أن الإنسان لا يستطيع أن يعتبر نفسه حرا إلا في حالة كان الوضع عادلا في نفس الوقت، ولا يعتبر عادلا إلا إذا كان حرا، أي أن كامو يطالب بالنسبي وأفكاره هنا كانت ترفض المطلق ولذلك يقول كامو أن التمرد لا بد وأن يتفادى المطلق (إنما تمرد الظلم الدائم والتسوية غير المحدودة والقباحة... تحت ستار الوعد لعدالة مطلقة. أما التمرد فلا يسعى إلا إلى النسبي، ولا يسعه أن يعد إلا بكرامة مؤكدة مقرونة بعدالة نسبية، إنه يتحزب لحد تستقر عنده وحدة البشر. عالمه عالم نسبي)²

كامو يجد أن التمرد يفقد أصالته إذا اقترن بالنزعة المطلقة، بل التمرد يجب أن يقترن بالنسبية، كما أنه يطالب بعدالة نسبية تحترم الحرية وتعمل على نشر التضامن بين البشر كما يطالب بحرية نسبية لأن الحرية المطلقة تؤدي إلى الظلم والطغيان ولذا من الواجب الاعتماد على الحرية والعدالة النسبيتين فيهما تتحقق الانسانية وبغياب إحدى الطرفين تفقد الانسانية توازنها، لأن كلاتهما تكملان بعضهما البعض، (فالتمرد الأصيل

1- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، ص146.

2- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، 359.

بإدراكه للحدود يؤكد نسبية النطاق بين العدالة والحرية، ويصاحب هذا الإحساس بالنسبية، التحقق من أن الأهداف التي نسعى للوصول إليها أهداف تقريبية¹.

إن العدالة النسبية التي يتخيلها كامو هي نفسها التي تنتشر الحرية النسبية أيضا وتكون هذه العدالة والحرية تخدمان الجميع لا الفرد الواحد، وهذا المطلب (الحرية) التي يسعى من ورائها المتمردين لتحقيقها وفي نفس الوقت نجد أن كامو بتقديم الحرية والعدالة لنا لا يهدف إلى حرية مثالية، لأن ذلك لا يمكن تحقيقه مباشرة ولا تكون إلا بتضامن الأفراد مع بعضهم البعض. ومنه فقيمة الحرية والعدالة لا يتحققان إلا بالقيمة الثالثة وهي التضامن البشري لأنه تضامن المتمردين وهو الطريق المرجو تتبعه هاته القيمة قيمة التضامن البشري تكون قيمة جماعية لا فردية يشترك فيها جميع البشر لأن بتعاون الجماعة يستطيع الفرد الخروج من العبث، فوحده لا يستطيع التمرد.

ولقد أكد كامو على الروح الجماعية وذلك من خلال كتاباته خاصة في رواية العادلون حيث يرى أن عمل الجماعة مع بعضهم تتجاوز العبث وجسدها في تضحية بطل رواية "العادلون وأصدقائه" من أجل إثبات قيمة التضامن وأنه بتحقيق هذا التضامن يكون التمرد ناجحا (أما أنا فأحب الذين يعيشون على الأرض نفسها التي أعيش عليها الآن، وهم الذين سألهم، إنني من أجلهم أناضل وفي سبيلهم ارتضيت بأن أموت)².

إن التضامن الذي يقوم به البشر من أجل إثبات أنفسهم يكون جماعيا لأن الاحساس بالعبث يكون فرديا إذ لا بد أن يكون التمرد جماعيا، (فالألم يكون فرديا في التجربة العبثية، ولكن اعتبارا من حركة التمرد يشعر بأنه ألم جماعي، ويصبح مصيرا مشتركا بين الجميع)³، يرى المتمرّد العبث لكن وحده لا يستطيع فعل شيء إلا إذا ألم هذا

1- جونكروكشانك، ألبير كامو وأدب التمرد، ص169.

2- ألبير كامو، العادلون، تر: أيمل شوپريه، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1955م، ص46.

3- ألبير كامو، الإنسان المتمرّد، ص29.

الألم جميع البشر فيحسون به جمعا مما يجعلهم يسعون إلى التغيير ويكون بتضامنهم لإثبات الحقيقة الإنسانية والتمرد في طريقه يغامر بكل ما يملك من أجل إثبات أنهم يد واحدة من أجل الحياة، يقول كالياييث بطل رواية "العادلون" لحبييته (إننا نقتل لكي نبني عالما يخلو من القتل، إننا نأخذ على عاتقنا أن نكون مجرمين لكي يصبح سكان الأرض في النهاية أبرياء)¹، ولقد التزم كالياييث ورفقاؤه التمرد المعتدل وضحو بحياتهم من أجل حياة البشر وبالتالي نظر إليهم كامو على أنهم قتلة أبرياء لأنهم بعملهم هذا دافعوا من أجل الطبيعة الإنسانية وهذا ما صاغ عليه كامو الكوجيتو الكامي بقوله (أنا أتمرد إذن نحن موجودين) كما جسده أيضا في رواية الطاعون عند إصابة سكان بلدة وهران بالوباء فكانوا متماسين ومتضامنين ضد هاته المأساة وبرز التضامن أيضا من خلال مساعدتهم لبعضهم البعض للقضاء على الوباء وتولد هذا الشعور من خلال إحساسهم بالألم المشترك، فكان لا بد من التمرد عليه ولا يمكنهم تحقيق ذلك إلا بتضامن جميع سكان البلدة من أجل بلوغ هدفهم وهو تحدي الوباء (فقد كان يفقه دون ذلك تفكيره بأنه لم يكن ثمة ألم من هذه الآلام، وكان الجميع يتقاسمون، وأن عالما يكون فيه الألم متوحدا غالب الأحيان هذا التوحد، هو عالم فاضل من أجل هذا كان عليه أن يتكلم باسم الجميع)²، فكامو بمطالبته للتضامن لا ينفي وجود الفرد كما يوضح كامو ضرورة الحوار للوصول إلى التضامن ونشر ثقافة الحوار بين المتمردين ليعم الاحترام بينهم، فالتضامن ليس حركة أنانية ولا يخدم فردا واحدا بل يسعى للخير الجماعي، فالجميع يشارك فيه المضطهد أو المشاهد للاضطهاد فيقول كامو: (فنحن أعداء للعالم، وتأخذ عداوتنا مظهر المعارضة والانتكار، وباجتماعنا حول هذا الشعور وبتفاقنا حول ذلك الاعتقاد، ترتسم على أفعالنا

1- ألبير كامو، العادلون، ص36.

2- ألبير كامو، الطاعون، ص295.

معالم التجمهر وتتشرب حركتنا بروح التعاون، وينتهي الفرد لتبدأ الجماعة، وهكذا تسير
رغبة الإنسان رغبة إنسانية)¹.

كما عبر كامو عن التمرد بإقامة نظرية جمالية فلجاً إلى الفن ليعبر عن التمرد
على هذا العالم العبثي.

1- عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م، ص151.

ثالثاً: الفن والتمرد

لقد اعتبر كامو الفن سلاحه للنضال ضد عبثية العالم ولا معقوليته، ورأى أن الفن هو الذي يدفعنا إلى أن نكون مقاتلين وليس الكفاح، وأعطى الأولوية للفن على أنه الوسيلة الوحيدة للمصالحة مع العالم والذات والوجود رغم عبثيته المطلقة، والفن صورة من صور التمرد الإنساني حيث يعرف كامو الفن في كتابه "الإنسان المتمرّد" بقوله: (الفن أيضاً هو هذه الحركة التي تمجد وتتكبر في وقت واحد، قال نيتشه: " ما من فنان يتحمل الواقع". هذا صحيح. ولكن ما من فنان يستطيع الاستغناء عن الواقع... فعلى الفنان إذن أن يعطينا نظرة أخيرة على محتوى التمرد)¹.

والتمرد في الفن هو بمثابة إعادة تشكيل للكون، المبدع يعتبر أن العالم غير كامل أو تشوب سيرورته الشوائب والقبح، ولذلك دائماً ما نجده يسعى لإعادة صياغته إضافة إلى بعض النقائص، ونجده أحياناً يحطم ما هو بال أو يرمي ما هو مكرر وممل وكأنه هنا إنما يجادل الواقع لكن لا يدير له ظهره، إذن فالفنان كما يجد كامو يحس بوجود نقائص في واقعه فيعمل على الفن ليعبر على حاجاته، ولا بد للفنان أن يواجه العبث السائد في الكون بما لديه من حرية وتمرد وقدرة إبداعية، يقول كامو: (الفنان حينما ينظر إلى العالم فإنه لا يملك سوى التمرد على ما فيه من عبث أو لا معقولية، وثانياً، فإنه لا بد من أن يجد نفسه مدفوعاً نحو العمل على تشكيل العالم أو إعادة صياغته بمقتضى ما لديه من حرية إبداعية)²، إذن الفن يقود إلى التمرد والإنسان المتمرّد هو الفنان الذي يسعى لفرض شكل فني منظم أو صورة معقولة على العالم.

يرى كامو أن الفن يعبر عن حاجة ميتافيزيقية وهي الرغبة في الوحدة، فالفن ينشد للوحدة من خلال إدراك عبث الوجود ومحاولة التغلب عن هذا العبث عن طريق التمرد

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرّد، ص314.

2- بركات عباس سعيد، ملامح التمرد في حركة الفلوكس.

(وهكذا نجد أن نظرة الفنان وسلوكه في أشكالها الأساسية توجه الانتباه إلى حقيقة العبث، وبذلك ينظم الفنان إلى دونجوان كمثال على النزعة العبثية)¹، في هذا الوقت فإن الفنان لا يمكنه الحكم على العالم بالقبح المطلق بل يجد فيه ما يدعو إلى الجمال ومحبة العالم. يقول كامو: (إن الفن بمعنى ما هو إلا ثورة ضد العالم ضد ما فيه من زائل، فهو لا غرض له إلا أن يعطي شكل آخر لواقع أكره على المحافظة عليه لأنه ينبوع تأثره... إن الفن ليس رفضا كاملا وليس قبولاً كاملاً لما هو كائن إنه رفض وقبول في نفس الوقت)²، هنا كامو يوضح أن الفن مثلما يقتضي الرفض يقتضي القبول، فكل فكرة يعبر عنها، كما ربط كامو بين العمل الروائي والفني وبين التمرد، فالروائي يتمرد على واقعه ويسعى للتحرر منه وتغييره فهو يرى في التمرد عملاً هاماً لتنظيم الرواية الأدبية، ويعتبر التمرد من دعائم الأدب الحقيقي وعنصر أساسي في بناء الرواية فهو يرفض الواقع ويراه لا معنى له، فمهما كانت صورة الواقع قبيحة إلا أن الفنان المتمرد لا يتركها بل يجملها، والروائيون يجدون المتعة في قراءة الروايات الخيالية ويعدونه تعبيراً لرفضهم عبث الواقع، يقول كامو: (أول خيار يقوم به الفنان هو بالضبط أن يكون فناناً وإذا اختار لنفسه أن يكون فناناً، فما ذلك إلا بسبب النظرة التي ينظرها إلى ماهيته هو والفكرة التي لديه عن الفن)³، فالفنان الروائي بقدر رفضه للواقع العبثي الذي يعيشه إلا أنه لا يمكنه الابتعاد والتخلي عنه أو الهروب منه، يقول كامو: (ليس العالم الروائي سوى تصحيح لهذا العالم وفق رغبة الإنسان الصميمية والمقصود هو نفسه العالم، العذاب نفس العذاب، وكذا الكذب والحب. لإبطال لغتنا ونقاط ضعفنا وقوتنا. عالمهم ليس أجمل ولا أوجب للعبارة من عالمنا. ولكنهم على الأقل يمشون إلى نهاية مصيرهم)⁴، إذن الرواية تسعى لتصحيح الواقع كما يرده الإنسان المتمرد وعالم الرواية لا يختلف عن عالم الواقع لأن الرواية هي

1- جون بروكشانك، ألبير كامو أدب التمرد، ص 207.

2- ألبير كامو، وجها الحياة، ص 34، 35.

3- جارمين بري، ألبير كامو، ص 261، 262.

4- ألبير كامو، وجها الحياة، ص 327.

إنعكاس لصورة الواقع، والاختلاف الوحيد بينهم أن الروائي ينهي أحداث روايته عكس الواقع الذي لا يستطيع فعل ذلك، فالروائي له حرية التحكم في فنه وأحداث روايته أما الإنسان العادي فلا يمكنه تحقيق ذلك في الواقع.

إذن النشاط الروائي هو رفض للواقع ويفسر كامو هذا الرفض أنه مجرد هروب ويسعى لإثبات حقيقة الفن لأنه مهمة الفن الحقيقي الدعوة إلى الوحدة والتمرد أو يكون ذلك بالخلق والإبداع (الفنان الصحيح يستخدم مادة الواقع ولكنه "يصحح الخلق". إنه يرفض الاعتراف بعدم التماسك و"الصيرورة" الدائمة في الحياة الإنسانية، وهنا سر تمرده وإبداعه. إنه يهب اللاتماسك تماسكا، وبالتالي يهب اللاشكل شكلا)¹، هنا نرى أن عالم الرواية هو عالم خيالي وعالم إبداعي في آن واحد لأنه يختار شخصيات الرواية من الواقع إلا أنه يتجاوزه لأن هذا الأخير شرط أساسي من شروط كل تفكير إبداعي، فالفنان يعيد تقديم الواقع وفق ما تمرد عليه وهنا تتضح عظمة التمرد. إلا أن الفنان ملزم باتباع أحداث واقعه ويتمرد على العيب في هذا الكون وبالتالي لا بد من ربط الإبداع الفني للإنسان المتمرد بالحرية (حرية الفن والفنان)، وقام كامو بإثبات ذلك حين أعطى الحرية لشخصيات الرواية في روايته فيدعو كامو إلى اتباع أسلوب الحوار للتواصل مع القارئ يقول كامو: (الفنان، شاء أم أبى، لم يعد في وسعه أن يكون منفردا... إن الفن المتمرد أيضا يكشف في نهاية الأمر عن شعار "نحن موجودون"...)² هنا يدعو كامو إلى السعي وراء الفن، واتخاذ كسبيل للخروج من عبثية العالم فالفنان في نظر كامو مفكر ملتزم بفنه وإبداعه وإنتاجه يحقق وجوده.

ونجد أن كامو يرى أن العلاقة بين الفيلسوف والفنان علاقة عضوية وذلك عندما يكون الفنان فيلسوفا والفيلسوف فنانا، ومهما كان الإنسان فيلسوف أو فنان لا بد من

1- جارمين بري، ألبير كامو، ص ص 266، 267.

2- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص 342.

مواجهة العبث في هذا العالم بكل ما يملك من حرية وتمرد وإبداع (إذ على الإنسان أن يعيد تشكيل العالم وصياغته من خلال عمله الفني، أو بمعنى آخر على الفنان المتمرد أن يحاول فرض شكل فني منظم أو صورة معقولة على العالم)¹، أي أن الفنان عند تمرده على العالم اللامعقول ومحاولته للوقوف في وجه العبث إنما يسعى إلى خلق عالم يليق ليعيش فيه وذلك من خلال عمله الفني.

1- محمد زكي العشماوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية بيروت، 1980، ص 232.

المبحث الثاني: مراحل تطور التمرد

أولاً: التمرد الميتافيزيقي والتاريخي

يرى كامو أن التمرد نوعين، تمرد ميتافيزيقي وتمرد تاريخي، والتمرد الميتافيزيقي يشبه لحد بعيد التمرد التاريخي إلا أن كامو قد أيد أولوية التمرد الميتافيزيقي أو الماورائي على التاريخي، وذلك من خلال الفرق بينهما.

يعتبر التمرد الميتافيزيقي هو التمرد على الغيب وعلى المصير الظالم الذي قدر له في هذه الحياة العبثية من ألم ومعاناة وشقاء وظلم (التمرد الذي يتمحور حول هذا الربط المؤجل للثواب والعقاب والذي يصم أذنيه عن صراخ البشرية)¹، يعتبر كامو أن التمرد الماورائي هو تمرد الإنسان على الوضع الذي يعيشه وضد العالم ككل، فهو يحتج ضد وضعه المخصص له كبشر فهنا الإنسان يثور على حقه ويجد أن له الحق في تقرير مصيره، ويجب أن يكون له الحق في التجكّم في مستقبله دون تدخل يد أخرى في ذلك وأن القوة الإلهية هي السبب وراء معاناة البشرية من خلال حكمها، فالتمرد يرفض حكم الآلهة على الوجود البشري، ويجد أنه لا بد من تحدي هذا الإله الظالم المستبد الذي يسبب لهم الشر والعذاب، فيسعى المتمرد في بداية تمرد في التمرد على الموت والفناء الذي قدر عليه بما هو إنسان، فالتمرد يدرك وجود الله وفي الوقت ذاته ينكره ويسعى لإثبات أنه لا شيء يمكن أن يعلو على الإنسان حتى الإله نفسه لا يمكنه التعالي على البشر.

والتمرد الذي يسعى إليه الإنسان المتمرد ليس من أجل خدمة مصلحته بل من أجل البشر جميعاً يقول كامو: (إنه بذلك يفترض وجود الله في نفس اللحظة التي ينكره فيها، إنه ينتزع هذا الكائن العلي من ديمومته الأبدية ويدخله في وجوده الذي يرى أنه محال، ويلقى به في دوامة التاريخ، بذلك يريد التمرد أن يؤكد أن كل موجود متعال فهو

1- فاروق القاضي، آفاق التمرد، ص52.

على الأقل في مستواها متناقض مع نفسه)¹، وبالتالي فهذا التمرد الماورائي إنما من خلاله يسعون إلى المطالبة بالتححرر من آلام الحياة والموت وهذا الوضع الفاني، ورفض القوة وهي الإله الذي فرض عليهم هذا الوضع، وهذا لا يعني أن القائم بهذا الفعل ملحد، يقول كامو: (ليس المتمرد الماورائي إذا ملحدا بوجه التأكيد، كما نعتقد، ولكنه مجدد حتما، إنما يجدد أولا اسم النظام، معلنا أن الله أبو الموت، وأنه العار الأكبر)²، وقد عبر كامو عن هذا التمرد في رواية الطاعون وجسده في شخصية بطلها "كارو" في محاولته أن يكون قديسا من غير إله ولا دين يرتبط به ويعلن تمرده على الوضع الذي يرى فيه عذاب الأطفال وموتهم، فلا بد من التمرد على هذا العالم العبثي اللامعقول وعلى السلطة المسؤولة عم هذا الألم، وكذا شخصية الطبيب "ريو" في محاولته للقضاء على الوباء إذ أن المتمرد يتمرد على الله باعتباره أصل العذاب كله وهو أبو الموت وأكبر الفضائح.

وتظهر بداية تحليل كامو للتمرد الميتافيزيقي في الجريمة اللاهوتية التي راح ضحيتها هابيل حين قتل على يد أخيه قابيل في تقديم القران للإله فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فلم يتقبل قابيل الأمر وكانت النتيجة قتل أخيه يقول كامو: (لم يتوجه التمرد إلا إلى إله قافي يتبع هواه، إلى إله يفضل دونما سبب مقنع تضحية هابيل بدلا من قابيل، مسببا بذلك أول جريمة قتل)³.

والتمرد الميتافيزيقي كان في الأساطير اليونانية مع بروميثيوس الذي تمرد على الآلهة بسرقة طعام ونار الآلهة وإعطائه منها للبشر فاعتبر البشر بروميثيوس بطلا تمرد على آلهة الشقاء ومن جهة أخرى، كامو يرى ظهور التمرد بصورة واضحة مع ظهور المسيحية بتحديد أن تاريخ التمرد في العالم الغربي وتاريخ الكسحيية غير منفصلين، أي

1- عبد الغفار المكاوي، ألبير كامو، ص 115.

2- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 46.

أن الدين مرتبط بالتمرد منذ القدم يفسرها كامو بداية من قتل قابيل لهابيل، وينسب كامو هذه الجريمة إلى الإله الظالم لأنه هو من دفع لارتكابها وسماه بإله العصر القديم الظالم، عكس إله العهد الجديد الذي ربط بين الإله والإنسان وحل في جسد الإنسان واحتل العذاب، وبهذا الفعل قامت المسيحية بتبرئة الإله من مسؤولية هذا القدر الظالم، وقد بين كامو ذلك في كتابه "الإنسان المتمرد" في تمرد المركيز دي ساد على المجتمع والعادات والأخلاق فانطلق في تمرد من مبدأ الغريزة والشهوة واللذة الجنسية وتعدى إلى الإله والإقرار بالحاده ووجد أن الإله شرير، وغير عادل يقتل البشر بظلمه فلا بد من استبداله بسلطة تحكمها الغرائز والشهوات، إلا أن هذا النوع من التمرد يرفضه كامو لأن هذه الحرية ليست الحرية التي يطالب بها التمرد في الحقيقة فهي حرية مفرطة، ويرى كامو أن التمرد دوستوفيسكي تمرد حقيقي لأنه يطالب بمبدأ العدالة وهو بهذا التصرف دشّن المشروع الأساسي للتمرد وهذا جلي في رواية دوستوفيسكي الشهيرة (الأخوة كارا مازوف) على لسان البطل "إيفان كارا مازوف" الذي يرفض الله بوصفه مبدأ محبة لأن المحبة عنده تدفعنا إلى الإقرار بالظلم اللاحق بالعمال الذين يشتغلون لساعات وإلى تقبل موت الأطفال فيطلق شعاره (كل شيء أو لا شيء)، إلا أن تمرد إيفان باء بالفشل وفشلت ثورته، لكن التمرد عند كامو لم يبق عند إيفان بل واصل التمرد طريقه (نعم، فشل إيفان، لكن لن ييأس المتمرد. فيضل أناس يتمردون في سبيل حرية الاختيار بين الخير والشر)¹.

أما التمرد العدمي عند كامو فيمثله نيتشه (لم يعقد نيتشه النية على قتل الإله. فقد وجده ميتا في نفوس أهل زمانه، وأدرك قبل غيره أهمية الحادثة، ورأى أن تمرد الإنسان هذا لا يسعه أن يؤدي إلى نهضة وانبعاث إذا لم يكن خاضعا لتوجيه. كل موقف آخر

1- فاروق القاضي، آفاق التمرد، ص101.

إزاء التمرد، سواء أكان موقف الأسف أم المسايرة، سيؤدي إلى رؤية الدمار الكلي¹، وانتهى الأمر بنيتشه لإثبات عبثية وجود الإله وخلق إنسان أعلى يعتمد على إرادة القوة ما سماه (بالسوبرمان) يقول نيتشه (ما هو الخير؟ إنه كل ما يربي الشعور بالقوة، إرادة القوة والقدرة ذاتها داخل الإنسان، ما هي السعادة؟ الشعور بأن القوة تتنامى وأن المقاومة تتجاوز)²، نيتشه يقول القوة أساس الأخلاق والضعف يقضي عليها، أما كامو يثبت أن تمرد نيتشه يؤدي إلى تمجيد الشر ويرى أن النازية والفاشية أساءت أهم فكر نيتشه وحرفتها يقول كامو: (إن التمرد الماورائي في حركته الأولى لم يكن سوى احتجاج ضد الكذب وجريمة الوجود. إن القبول النيتشوي، الناسي للرفض الأصلي، ينكر التمرد ذاته)³.

أما التمرد التاريخي عند كامو أو كما يقال التمرد السياسي تاريخيا فقد بدأ من تمرد "بارتاكوس" يقول كامو: (أن التمرد التاريخي ينشأ عن الدافع الأكثر جوهرية للتمرد الميتافيزيقي، فتمرد سبارتاكوس كان من أجل تحرير العبيد من الظلم والقهر والسعي وراء فرض المساومة بينهم وبين السادة الطغاة، يرى كامو أن الثورة التي قام بها سبارتاكوس تعد رمزا لرفض الاستعمار (إن تمرد سبارتاكوس يوضح دائما... جيش العبيد يحرق العبيد، ويدخل فوراً أسيادهم القدماء تحت نير عبوديتهم)⁴. كما انتقد كامو عقوبة الإعدام التي جاء بها روسو.

كما عد كامو الروس هم ممثلي التمرد الأصيل (كاليايف وأصدقاؤه) فقد كانوا يعبرون عن التضامن البشري فوجدهم كامو أنهم مهدو للأسس الأولى للتمرد الحقيقي من خلال ثوراتهم والوقوف في وجه المستبد من أجل السعي وراء تحقيق عدالة إنسانية، وقد ضحو بأنفسهم دون غيرهم لتفادي روح الجريمة والقتل بين البشر، وعدهم كامو مثال

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص89.

2- فريديريك نيتشه، عدو المسيح، تر: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، ط2، ص25.

3- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص100.

4- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص140.

للمتمردين والتمرد الأصيل (ولا يخفي كامو إعجابه بهؤلاء المتمردين لأنهم استقو تمردهم من فكرة المبدأ الذي هو روح التضامن الذي ينشأ من الوعي بالحد، مؤكداً على فكرة (أنهم موجودون) والتي يعدها كامو مبدأ التضامن بين البشر)¹.

كما يرفض كامو الثورات التي تتنادي بالعنف والقتل والتدمير مثل الثورات الحديثة كثورة ماركس التي يرى كامو أنها قامت بإثبات صحتها على المستوى النظري أما الجانب التطبيقي فقد باءت بالفشل لانحرافها عن مسارها الصحيح يقول كامو: (اعترف ماركس أن كل الثورات قبل مجيئه كان نصيبها الفشل. ولكنه زعم بأن الثورة التي يبشر بها سيكتب لها النجاح النهائي. وقد عاشت الحركة العمالية حتى الآن على هذا التأكيد الذي لم تكف الوقائع عن تكذيبه، والذي أن الأوان لفضح بهتته بكل هدوء)².

أما عن الثورة الجزائرية فقد كان مهمشة عند كامو رغم كتاباته عنها وحياته التي عاشها فيها فقد رفضها لاستعمالها السلاح فهي تدعو إلى العنف والقتل وكان يرفض الاستقلال باعتبار الجزائر قطعة من فرنسا وقد ذكر في كتابه "الغريب" عبارة عربي على قول جزائري وكان يطالب بدمج الجزائر وفرنسا واعتبارهما وطن واحد وأمة واحدة وأن ثورة الجزائريين هي ثورة الإرهاب، حيث يقول أنه في اللحظة التي يفكر فيها الإنسان المظلوم بحمل السلاح من أجل العدالة هنا قد وضع نفسه في دائرة الظلم واعتبر مطالبة الجزائريين بحريتهم أمراً خارج نطاق التمرد وقد وصف البعض كامو أنه يصنف التمرد خاص فقط بالأوروبيين أما العرب فلا ينطبق عليهم رغم أنه كان يعيش في الجزائر ويرى المعاملة اللإنسانية الفرنسية، فكامو يرفض استعمال السلاح واللجوء إلى أساليب العنف وقد كان كامو بين الاثنين بين وطنه الأم فرنسا والبلد الذي نشأ فيه والجزائر وكان

1- توزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص153.

2- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص280.

له موقفين في بداية الأمر من جهة يدعو إلى حرية الشعب الجزائري وعند بداية الثورة الجزائرية دعا إلى إيقافها وإبقاء الجزائر مستعمرة فرنسية.

لقد صار التمرد منذ بدايات القرن العشرين سمة بارزة من سمات ذلك العصر وظهر كرد فعل على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي عاشته أوروبا طيلة القرن 19م، كما يتضح لنا أن كامو يرجع للتاريخ ليثبت من خلاله أن التاريخ ذاته وأحداثه يجبران الفرد على الاعتراف بأن التمرد هو من الصفات المبدئية للإنسان وأنه واقع تاريخي للإنسانية ولا يمكنه الهروب من هذا الواقع.

وقد كانت التناقضات التي يحملها كتاب "الإنسان المتمرد" لكامو سبب في نشوء النزاع بينه وبين سارتر بعدما كانوا أصدقاء فلقد وجه سارتر اتهامه لكامو على أنه أعقل التاريخ وأنه عندما أراد العودة إليه إنما كان لشيء واحد وهو محاربته لكن كامو يرفض هذا الاستفهام ورد أنه لا يسعى لمحاربة التاريخ وإنما يسعى لرفض أخلاقية التاريخ الذي فيه تساوت الفضيلة والرذيلة والمتهم مع الظالم، وهذا ما سيوضحه كامو في الفرق بين التمرد والثورة.

ثانياً: التمرد والثورة:

يرى كامو في علاقة التمرد بالثورة فرق كبير فقد صرح في كتابه الانسان المتمرّد " أن كلمة ثورة في الحقل النظري هي نفسها ما تحمله من معنى في الحقل الفلكي، فهو الانتقال من حكومة إلى أخرى أي تبديل في نظام الملكية دون المساس بالحكومة، وهذا التغيير عند كامو يدعى إصلاحاً لا ثورة أما الثورة الحقيقية عنده فهي التي تشمل التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي، يقول كامو في تمييزه بين التمرد والثورة: (إن الكلمة الشهيرة: " كلا يا مولاي، لسنا أمام تمرد، بل أمام ثورة"، تركز على هذا الفارق الجوهرى. إنها تعني تماماً "اليقين بمجئى حكومة جديدة"¹، يعني هذا أن التمرد ما هو إلا حركة الانتقال من تجربة فردية إلى فكرة جماعية، أما الثورة فهي إعادة صياغة العالم في إطار نظري والثورة تؤدي إلى قتل البشر وهدم مبادئهم في حين أن التمرد يسبب في القتل فقط وهنا يتضح لنا فصل كامو التمرد عن الثورة وكلاهما لا يؤدي إلى الآخر، وكامو يدافع عن التمرد لا عن الثورة (وهذا هو السبب في أن الثورة السياسية باسم الحرية سرعان ما أدت إلى المقصلة وإلى عملية التطهير. إن الرغبة في الحرية قد تمهد للثورة، ولكنها عند حد معين توقف هذه الحرية لأجل غير مسمى في سبيل الوسائل الفعالة تمهيدا لبداية عهد الإرهاب. ولهذا يقول كامو إن التمرد كتعبير عن الوعي الإنساني يعد عملاً بريئاً، بينما تعد الثورة كعمل تاريخي جريمة من الجرائم)².

لقد وجد كامو أن جميع الفلسفات التي تدعي أنها ترشد عالمنا باسم الثورة قد أصبحت الآن عبارة عن فلسفات كما سماها فلسفات إذعان، ولا صلة لها بفلسفة التمرد من قريب أو بعيد لأنها تؤدي للجريمة يقول كامو: (الحقيقة أن الثورة انقلبت على أصلها المتمرّد إذ امتثلت إلى العدمية. فالإنسان الذي كان يكره الموت وإله الموت وكان يمتلكه

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرّد، ص136.

2- جون كروكشانك، ألبير كامو وأدب التمرد، ص154، 155.

اليأس من البقاء الشخصي، يشد الخلاص بخلود النوع)¹، هنا كامو يجد أن التمرد بريء والمتمرد إنسان بريء لأنه يسعى لاكتساب وجوده ولتحقيق عدالة ملائمة وحرية ممكنة ويجد أن السبب وراء الثورة يعود لانحراف التمرد عن أصله، فالثورة قد حادت عن منبع التمرد الأصيل بل وكأنها الضد المقابل له.

أما بخصوص الثورة الجزائرية فقد نفى أنها تمرد وحذر منها (حذر كامو من أن المقاومة تواجه خطر النظر إليها باعتبارها مجرد فصل سياسي آخر بدلا من أن تبقى تعبيرا عن توافق آراء فرنسا)²، ويرى أنه في القرن 18م أن الثورة لم تكن لتمشي في طريقها الصحيح لأنها كانت بحاجة إلى توافق والجمع بين العقل والتاريخ معا، فعند الجمع بينهما يتلاقى وعي الإنسان المتمرد مع التاريخ الذي يؤكد على حتمية التغيير هذه هي الثورة عند كامو (وعندما يتحدث عن التمرد التاريخي فإنه يستبدل التمرد الرأسي بالتمرد الأفقي، فبعد مقتل الإله تحولت الألوهية إلى الإنسان، وبهذا تتولد الثورة التي يعدها كامو انحرافا وتشويها للتمرد الميتافيزيقي لأنها لا تؤمن بالقيم كما لا تؤمن بالقيم العليا مثلها مثل الإنسان العبثي)³

يجد كامو أن الثورة تهدف إلى التخلي عن الحاضر والاهتمام بالمستقبل من أجل السعي وراء الحرية فالإعدام يعتبر عنده شيء عادي كما أنه في طريقهم لتحقيق الحرية التي يريدونها قد تنتقل الثورة عندهم إلى العنف وبالتالي للجريمة وهذا ما يرفضه كامو قطعيا، لأن الثورة حين تؤدي إلى الجريمة فهي بذلك تشجع على القتل، ومنه فالثورة عند كامو عدمية كما أنها تؤدي إلى الفردية أما التمرد فهو خلاف ذلك فالتمرد يعتبر تعبير واضح وجلي عن وعي الإنسان بما حدث ويحدث وسيحدث كما أنه عمل بريء وكما

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص307.

2- رونالد أورنسون، كامو وسارتر، تر: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2006م، ص 103.

3- توزان عبد الله إدريس مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، ص132.

ذكرنا سابقا فالتمرد يقوم على التضامن ويؤدي إلى التضامن بين البشر لإثبات الطبيعة الإنسانية، ومنه كامو يرى أن التمرد خلاق ومبدع أما الثورة ترضى بالعبودية ولذلك فهي عدمية وتؤدي إلى القتل والعنف وهذا ما رفضه كامو حين أثبت اختلاف التمرد والقتل.

ثالثاً: التمرد والقتل:

كان لكامو تصريح قوي وردة فعل كبيرة أثناء القرن 20م فوصفه بقرن العدمية لحدوث جميع مظاهر القتل والعنف التي رفضها كامو، بل إن فلسفته كانت ترفضهم وترفض الجريمة والإرهاب، إن القرن 20م كان يحتوي على الآلام والعذاب من قتل وتعذيب مخلفا وراءه ضحايا وأحزان حتى أن سكان أوربا قد اعتادوا على هذه المعاناة وأصبح الألم أمرا عاديا لأنهم يرونه كل يوم في حياتهم يقول كامو: (لقد فقدت الضحايا حضوتها إلى أقصى حد، لأنها صارت تولد الضجر. في الأزمة الخالية، كانت دماء القتلى تحدث على الأقل رعشة مقدسة، وكانت بالتالي تعلل ثمن الحياة. أما هذا العصر فيوحي بأنه ليس داميا ... وهذا ما يدينه حق الإدانة. فالدماء لم تعد مرئية، ... هذه هي العدمية القصوى)¹، إن قول كامو هذا ما هو إلا صورة واضحة لجريمة القرن العشرين الذي سادته الإرهاب والقتل والعذاب والحزن والآلام والتدمير والتهديم وكل هذه الأفعال السيئة كانت من قبل الدول القوية على الدول الضعيفة وعنا التمرد حاد عن أصله وتنكرت معالمه أما كامو طالب بالتمرد الذي يدافع عن البراءة البشرية ويطرح عدة تساؤلات: هل ما زلنا في عالم متمرّد؟ أليس التمرد يرفض الطغاة؟ وهل شعار (نحن موجودون) يتماشى مع القتل؟... وغيرها من التساؤلات التي كان كامو يطرحها عن التمرد الأصلي والمنحرف، لذا لابد للتمرد الالتزام بقيمة الحد أولا وقيم التمرد العدالة والتضامن للابتعاد عن القتل وأنه في حالة تتبع التمرد لقيمه فإنه بذلك يصبح تمرد أصيل.

كما ميز بين القتل في مجال العبث والقتل على مستوى التمرد (والحقيقة، على مستوى العبث، لم يكن القتل ليولد سوى تناقضات منطقية. أما على مستوى التمرد، فهو تمزق، لأن المسألة هي أن نقرر هل يمكن أن نقتل هذا الذي اعترفنا أخيرا بمشابهته

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرّد، ص347.

وكرسنا مماثلته لنا)¹، يعني هذا الإنسان المتمرد أثناء تمردِه إنما قد كره من الطغيان والظلم والاستبداد من طرف سيده فدعا للتمرد للمطالبة بالمساواة معه، أما في مجال العبث إنما يدرك بلا جدوى ولا معنى وجوده فيقوم بتقبله من أجل المحافظة على وجوده الذي أدركه بكل معقولية، أما في حين قبوله بالقتل فهذا ضد هدفه فهو هنا يناقض فكرته التي يدافع عنها وعن الحياة التي يريد البقاء فيها، هنا كامو أوضح لنا الاختلاف المتباين بين التمرد والقتل لأن المتمرد يسعى للتمرد السليم ويرفض القتل لأنه في حين التوافق مع فكرة القتل قد قام بإلغاء روح التضامن.

ويرى كامو أنه في قتل الإنسان للإنسان في عالم التضامن إنما هو مثل هروب قابيل إلى الصحاري حين قتل هابيل فإن هذا العالم سيغدو صحراء وإذا كنا غير موجودين فأنا غير موجود يقول كامو في صدد هذا: (فليفتد كائن واحد من عالم الإخاء، فإذا به كالصحراء. إذا كنا غير موجودين، فأنا أيضا غير موجود)²، لقد قام المتمرد المصممين على العنف والقتل باستبدال شعار المتمرد الأصيل (نحن موجودون) إلى شعارهم الخاص (سوف نوجد)، وهنا كامو قام بنقد المطالبين بحريتهم المطلقة واتخذوا القتل طريقهم للوصول، ولذلك كان القتل لا يجد من يقف في طريقه عكس التمرد الذي كان محدود، فالتمرد ينادي بالحياة ويرفض الموت أما القتل والعنف يفرضان الصمت النهائي، وبذلك لا يمكن أن تعاش روح المشاركة والصلة الروحية التي يريدها التمرد فقيمة التمرد التخلي عن العنف أولا والتضحية في نفسه بدل قتل الآخرين ورفض الإمساك بالسلاح حتى لو كان حله الوحيد.

كما يطالب كامو بإلغاء عقوبة الإعدام لأنها القتل في حد ذاته فهو تعذيب وهتك لحقوق الإنسان وجسد رفضه هذا لهذه العقوبة في كتابه المقصلة فنأدى بإلغائها ووصفها

1- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص348.

2- المرجع نفسه، ص349.

بعقوبة لا إنسانية (إن الحقيقة الصارخة تظهر على العكس أن هذه العقوبة لا تقل وحشية عن الجناية، وأن هذه الجريمة الجديدة، بدلا من أن تغسل الإهانة التي ألحقت بالهيئة الإجتماعية تزيد في بشاعة الجريمة الأولى)¹، كما سماها كامو أيضا عقوبة الموت فهي تلطخ المجتمع ولا يستطيع تبريرها تبريرا منطقيا ويرى أن القائم بتنفيذها سواء من قريب أو بعيد يعتبر مجرما لأنهم شاركوا فيها وقاموا بإنهاء حياة، وقد كشفت الدول خطورة هذه القضية مما اضطرت بعض الدول لإلغائها، وقد ناضل كامو في هذه الفكرة وخرج بنتيجة من خلال إلقاء فرنسا بعقوبة الإعدام عام 1982، يقول كامو: (إن شعار تعاضدنا ينبغي أن يكون اليوم: "تبدأ الدولة وتلتغى عقوبة الموت")².

1- ألبير كامو، المقصلة أعراس، ص12.

2- المرجع نفسه، ص61.



خاتمة

خاتمة :

من خلال دراستنا لفكر ألبير كامو تبين لنا أن هناك عدة مشاكل كانت تسير عصره أهمها المرض الألم الفقر والحزن، الاستعمار العذاب الاستبداد، والتي كانت نتيجة الحربين العالميتين، فأحس الإنسان أنه في عالم لامعقول وغريب فيه ولا جدوى من حياته لأن الواقع المر الذي يعيشه أضفى عليه هذا الإحساس، هذا الأمر كان بمثابة تبلور لفكرة العبث لدى كامو لأن الإنسان هنا قد أوشك على فقد الثقة بالحياة والشعور بالأسى فكان لا بد له من تغيير هذا الوضع والخروج من هذه الحياة العبثية وكان السبيل لذلك هو اللجوء إلى الانتحار وهذا ما رفضه كامو قطعيا واعتبره حل غير مجدي، فأدرك كامو خطورة هذا الوضع الذي آل إليه الإنسان مما جعله إلى التفكير في حل للخروج بالعبث ولامعقولية الحياة، قام بإبراز أهم نقاط العبث واللجوء إلى الوقوف في وجهه من خلال معايشة هذا الوضع بكل ما يحتويه من غربة وألم ولا جدوى ولا معنى.

إلا أن الإنسان في موجهته هذه وجد نفسه أمام موقف العدمية الذي ينفي القيم الوجودية والذي سيؤدي به إلى الاغتراب.

فكامو هنا كان ينادي بالمواجهة لا الهروب ذلك من خلال التمرد لأن التمرد هنا سيشكل رفضه للوضع اللاإنساني.

وبذلك قام كامو بطرح قيم جديدة وهي الاعتدال الحرية، العدالة والتضامن البشري، وأيضا اللجوء للتمرد التاريخي والميتافيزيقي الذي بواسطتها يستطيع اجتياز الوضع العبثي للإنسان من خلال رفضه للقيم الإلهية التي كانت سائدة آنذاك.

أما نظرتة للثورة فقد كان موقفه سلبي اتجاهها لأنه سماها ثورة إرهاب وذلك لاستخدامهم السلاح لنيل الحرية (ثورة الجزائر) كما أبدى كامو معارضته لعقوبة الإعدام لأنه

يجدها قتل لروح إنسانية وهذا القتل يسبب الفراغ في الأراضي كما سماها هو يصبح العالم صحاري.

وبالتالي نستنتج أن كامو قد قدم للإنسانية فكرة جديدة وهي خلق روح غير الروح العبيثية، وأن الحياة تستحق أن تعاش والإنسان لا بد له من الخروج من هذا الوضع المأساوي وإعادة الاعتبار لنفسه.

ومنه نجد أن كامو في فلسفته هذه وكأنه أقامها للدفاع عن الإنسان وعن واقعه ورفض العدمية فقط، كما نجده من جهة أخرى يرفض سكوت المشاهد للاضطهاد ويعطي له الحق في التدخل والسعي وراء التغيير، كل هذا كان من أجل رفع مكانة وقيمة الإنسان، ويكون هذا بتقننه للواقع العبيثي من خلال الوعي هذا الأخير الذي يعتبر اسهاما حقيقيا إلى التمرد.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ/ المصادر:

- 1) ألبير كامو ، الإنسان المتمرد ، ترجمة : نهاد رضا ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس، ط 3 ، 1983 ،
- 2) ألبير كامو ، الصيف ، تر : علي الجندي ، دار الجندي للنشر والتوزيع ، دمشق، ط 1 ، 2008
- 3) ألبير كامو ، كاليجوالا ، تر : يوسف إبراهيم الجهماني
- 4) ألبير كامو، أسطورة سيزيف ، تر : أنيس زكي حسين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1983
- 5) ألبير كامو، المقصلة، أعراس ، تر : جورج طرابيشي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت
- 6) ألبير كامو، الطاعون، تر : كوثر عبد السلام البحيري ، عالم الكتب ، القاهرة
- 7) ألبير كامو، العادلون، تر: أيمل شوبريه، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1955م.
- 8) ألبير كامو، الغريب ، تر : محمد آيت حنا ، منشورات الجمل ، بغداد (بيروت) ، ط 1، 2014
- 9) ألبير كامو، وجها الحياة ، تر : سامي الجندي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 ، 1962

ب/ المراجع:

- 1) أ.ساخاروفا ، من فلسفة الوجود إلى البنيوية ، ترجمة : أحمد برفاوي ، دار المسيرة، ط 1 ، 1984
- 2) جان بول سارتر ، الغثيان ، ترجمة : سهيل إدريس
- 3) جرمين بري ، ألبير كامو ، تر:جبرا إبراهيم جبرا ، بيروت ، 1967
- 4) جون كروكشانك ، ألبير كامو وأدب التمرد ، تر : جلال العشري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1986
- 5) حسن حماد ، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن ، مكتبة دار الكلمة ، مصر ، 2002
- 6) ديفيد زين ميروفست ، وآلن كوركوس ، أقدام لك ..كامو ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2002
- 7) ديفيد شيرمان ، ألبير كامو ، تر : عزة مازن ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2011
- 8) روبير دولوبيه ، كامو والتمرد ، تر : سهيل إدريس ، مطابع الآداب ، بيروت
- 9) رونالد أورنسون ، كامو وسارتر، تر: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2006م.
- 10) زكرياء إبراهيم ، مشكلات فلسفية 2 ، (مشكلة الإنسان) ، مكتبة مصر ، القاهرة
- 11) سوزان عبد الله إدريس ، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2017
- 12) عادل العوّا ، العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط 1 ، 1986 ،

- 13) عبد الغفار مكاي ، ألبير كامى (محاولة لدراسة فكره الفلسفي) دار المعارف بمصر ، 1964 ،
- 14) عبد الغفار مكاي ، البلد البعيد ، العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، يناير 1967
- 15) عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م.
- 16) عبد المعطي شعراوي ، أساطير إغريقية ، الجزء الأول أساطير البشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982
- 17) علي شلش ، التمرد على الأدب ، دار الشروق ، بيروت ، ط 1 ، 1994
- 18) فاروق القاضي ، آفاق التمرد ، قراءة نقدية في التاريخ الأوربي والعالم الإسلامي مركز البحوث العربية والإفريقية ، القاهرة ، ط 1 ، 2004
- 19) فريدريش نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة : علي مصباح منشورات الجمل كولونيا (ألمانيا) ، ط 1 ، 2007 ،
- 20) فريدريك نيتشه، عدو المسيح، تر: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، ط2.
- 21) كولن ولسن ، المعقول واللامعقول ، تر : أنيس زكي حسن ، منشورات دار الآداب بيروت ، ط 4 ، 1978
- 22) محمد زكي العشماوي ، دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 ،
- 23) محمد زكي العشماوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية بيروت، 1980
- 24) محمد مهران ، محمد مدين ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دار قباء ، القاهرة ، 2004 ،

25) نادية البنهاوي ، بذور العبث في التراجم الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر (دراسة مقارنة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1998

26) نبيل راغب ، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية ، المكتبة المصرية العامة للكتاب

27) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، 2012/08/26م

ج/ المعاجم والموسوعات:

1) ابن حبان في موارد الظمان ، 1017 ، باب النهي عن الذبح لغير منفعة

2) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الرابع (مادة العبث)، دار الكتب العلمية ، بيروت

3) ابن منظور الإفريقي ، معجم لسان العرب ، المجلد الثالث عشر (مادة التمرد) ، دار الكتب العلمية، بيروت

4) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني (مادة العبث) ، دار الكتاب اللبناني، بيروت

5) جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت

6) كرم البستاني ، المنجد في اللغة والإعلام (مادة التمرد) ، دار المشرق ، بيروت ، ط 1 ، 1973

7) مراد وهبة ، المعجم الفلسفي (مادة العبث) ، دار قباء ، القاهرة ، ط 5

8) مصطفى حسينية ، المعجم الفلسفي (مادة العبث) ، دار أسامة ، عمان ، ط 1 ، 2009

ج/ الجرائد والمجلات:

- 1) براج عمر ، مقال ألبير كامو ...من العبث إلى التمرد ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 26 ، سبتمبر 2016 ، جامعة وهران 2 ، الجزائر
- 2) علاء الدين العالم، تيار العبث بين الفلسفة والمسرح، مجلة دلتانون ، العدد الأول ، يوليو، 2014
- 3) شهاب جمال ، ما الإنسان المتمرد ؟ ، بسيمنت نشرة شهرية ثقافية فنية تصدر عن مؤسسة بسيمنت الثقافية العدد الثالث ، مارس ، 2007
- 4) عبد الله بن محمد الشعلان، مع ألبير كامو عالم العبث والتمرد، مجلة فكر الثقافية، 2017م.

المذكرات:

- 1) حمزة وشان ، صورة الجزائر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، (29) إشراف عبد القادر توزان ، 2015/2014
- 2) بركات عباس سعيد، ملامح التمرد في حركة الفلوكس، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية.
- 3) عبد القادر توزان، الشعور بالإغتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كامو، أطروحة دكتوراه، إشراف الطاهر حجار، جامعة الجزائر.

المقالات:

- 1) عز الدين بوركة ، ألبير كامو فيلسوف العبثية واللامعقول بامتياز : الغريب وسوء النقاهاهم وكاليغوالا
- 2) محسن النصار ، مفهوم مسرح العبث أو اللامعقول في المسرح المعاصر (مقال منشورة)، 2011/8/1

3) نضال نجار ، كامو فلسفة العبث وإنسانية التمرد ، ديوان الثقافة والفن، الخميس

14 آب (أغسطس) 2003 ، 12:30 ، الموقع : www.diwanalarab.com

المواقع الإلكترونية:

1) موقع إلكتروني : www.ardodict.com



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرهان.....
	الإهداء.....
أ-د	مقدمة.....
06	الفصل الأول : مفهوم العبث والتمرد عبر العصور.....
07-06	تمهيد :.....
08	المبحث الأول : ضبط مفاهيم.....
11-08	أولا : مفهوم العبث
14-12	ثانيا : مفهوم المحال.....
17-15	ثالثا : مفهوم اللامعقول.....
21-18	رابعا : مفهوم التمرد
22	المبحث الثاني : المسار التاريخي لظهور فكرة العبث.....
26-22	أولا : مفهوم العبث عند اليونان.....
29-27	ثانيا : مفهوم العبث في العصور الوسطى
34-30	ثالثا : مفهوم العبث في العصور الحديثة.....
38-35	رابعا : مفهوم العبث في العصر المعاصر.....
40	الفصل الثاني : العبث و كامو.....
43-40	تمهيد :.....
44	المبحث الأول : حقيقة العبث عند كامو.....
47-44	أولا : مفهوم العبث عند كامو.....
52-48	ثانيا : طبيعة العبث.....
58-53	ثالثا : العبث في روايات كامو
59	المبحث الثاني : مرحلة ظهور التمرد

64-59	أولا : الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعبث.....
69-65	ثانيا : الفن والعبث
73-70	ثالثا : من العبث إلى التمرد
75	الفصل الثالث: التمرد وكامو.....
76-75	تمهيد:.....
77	المبحث الأول: نظرية التمرد عند كامو.....
79-77	أولا: مفهوم التمرد عند كامو.....
85-80	ثانيا: قيم التمرد.....
89-86	ثالثا: الفن والتمرد.....
90	المبحث الثاني: مراحل تطور التمرد.....
95-90	أولا: التمرد الميتافيزيقي والتاريخي.....
98-96	ثانيا: التمرد والثورة.....
101-99	ثالثا: التمرد والقتل
104-103	خاتمة.....
111-106	قائمة المصادر والمراجع.....
114-113	فهرس الموضوعات.....

